3 me Année, No. 120.

Lundi-21-10-1935

بدل الاشتراك عن سنة

قرش

٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة « القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ رجب سنة ١٣٥٤ — ٢١ أكتوبر سنة ١٩٣٥ » العـــدد ١٢٠

فهرس العـــدد

أحمد شـــوقي

بمناسبة ذكراه الثالثة



اجتمع رأي الناس — ماعدا الشعراء — على أن شوقي طيب الله ذكره، كان تعويضاً عادلاً عن عشرة قرون خلت من تاريخ العرب لم يظهر فيها شاعر موهوب يصل ما انقطع من وحي الشعر، ويجدد ما اندرس من نهج الأدب، ويحفظ للبيان العربي قسطه الأوفر من التعبير الملهم عن كلمة الله المنبثة في الكون، وأسرار الجمال المضمرة في الطبيعة، ومعاني الخير الغامضة في الحياة؛ وأن فقده كان فقداً للوجدان الفني في الشعب الذي علمه كيف يتذوق الأدب ويستسيغ الشعر وينضح عواطفه الجافة بفيض هذه القريحة النابغة الثرّة؛ فالأعوام تعقب

الأعوام ، والذكرى تخلف الذكرى ، والأسى لا يزال يُرمض الجوانح لامتناع الصبر عليه وإعواز العوض منه ؛ فسيبقى شوقي كما وضعه القدر كمالاً في نقص كان ، وهيهات أن يصير نقصاً في كمال سيكون ؛ وسيدور الفلك ويدور ، ويقصد النقد ويجور ، ويتطور الذوق ويسمو ، وشعر شوقي ثابت ما ثبت الحق ، خالد ما خلد القرآن ، مقروء ما بقي العرب !

ذلك لأن الطبيعة اختارته لرسالة الشعر بعد فترة موئسة من الرسل ، ثم آثرته بالنصيب الأوفى من الفكر والخيال والعاطفة ، وهي الملكات الثلاث التي ترفد القريحة وتمد الطبع ، وعلى تفاوتها في القوة والضعف يتفاوت الفنان في السبق والتخلف ؛ ثم زوّدته بالأذن الموسيقية والقريحة السخية والأداة الطيعة ، فنشب عبقرياً بالفطرة ، لا شأن للبيئة في تنشئته ، ولا للمدرسة في إعداده ، ولا للفرصة في توجيهه ؛ وهل كان أثر البيئة وقفاً عليه ، وتعليم المدرسة خاصاً به ، ومواتاة الفرص امتيازاً له ؟ إنما كان مثله في رسالة الشعر كمثل الأنبياء في رسالة الدين ، يختارهم الله من الضعفاء والفقراء والأميين ليكون جلاله عليهم أبهر ، ومعجزته فيهم أظهر ، وحجته منهم أبلغ

وشوقي رجل روحه أقوى من فنه ، وشعره أوسع من علمه ، وحكمته أمتن من خلقه ، وقدرته أكبر من استعداده ، فلا يشك قارئه في أنه وسيط لروح خفية تقوده ، ورسول لقوة آلهية تلهمه ؛ وما اكتسب من القراءة والأسفار إلا إرهاف الذوق ، وتحصيل المادة ، وتوسيع الخبرة ؛ والذوق في الفن كالعقل في العلم إنما يحصلان بالدرس والتجربة والسن ؛ والطبيعة تصنع صاحب العبقرية ، ولكنها تبدأ صاحب الذوق

* * *

الشاعر المطبوع رجل يتأثر خياله بقوة ، وينفعل قلبه بسرعة ، ثم يكون بين خياله وقلبه تجاوب سريع مستمر ؛ له أذن مرهفة الحس تفطن للايقاع وتطرب للنغم ، وذوق سليم الادراك يعرف جمال الشعر ويعلم مواقع الكلم ، ونفس ترى المُثُل الروائع فتحمّى وتتحمس ، ثم يدفعها السمو الفني فيها إلى المنافسة الحرة والمعارضة النبيلة ؛ وإذا تناول الفكرة الأساسية الأولية لموضوع ما ، لا يلبث أن يراها في دخيلة نفسه تنمو وتتسع وتتركب وتتشعب وتتلون ، ثم تغدو ولوداً خصبة ؛ ثم لا ينفك شاعراً بالحاجة الملحة إلى الانتاج الناشئ عن غزارة الفيض وحرارة العاطفة ؛ ثم يدرك في يسر ما بين المعاني المجردة والمواد المحسّة من علاقة ، فيتخذ من هذه ألواناً لتلك ، بحيث تولد هذه الأفكار في الذهن مكسوة بهذه الصور ؛ تتمثل في خاطره المواد من ذات نفسها على الوجه الأنسب للتصوير والوضع الأجمل في النظم ، فاذا كان الموضوع مؤثراً انثالت عليه العواطف معجلة تريد أن تظهر ، مزدحمة تحاول أن تفيض

ذلك هو الشاعر المطبوع ، وذلك هو شوقي ؛ علمناه بالدرس ، وعرفناه بالصحبة ، فما انخزل يوماً في تحليقه وإسفافه عن مواقف العبقرية . ولئن كان في شعر شبابه مأسور الفكر ، محصور الخيال ، محدود النظر ، لا يعبر إلا عن رأي القصر ، ولا يصور إلا بألوان البيئة ، لقد كانت هذه الحقبة الرسمية غيبة للشاعر عن نفسه ، وذهولاً منه عن وجوده ؛ وقديماً كانت صلات الشعراء بالملوك والخلفاء عاهة الشعر وآفة العبقرية ، فلما أعتقته الحرب من رق الوظيفة ، وأطلقته انجلترا بالنفي إلى الأندلس ، تيقظ فيه الرسول الشاعر والحكيم المصلح ، فحلق بخياله في كل جو ، وسطع بعقله في كل أفق ، وشدا بالاسلام والعروبة والمصرية شدوا ردده كل لسان واهتز له كل قلب ؛ ثم زاد في القيثارة العربية الأوتار الناقصة ، فأضاف الشعر القصصي والشعر التمثيلي إلى شعرنا الغنائي ؛ فكان بذلك وحده الشاعر الكامل !

* * *

شوقي كله من صنع الطبيعة ، ولد منشداً كما ولد البلبل مغرداً ؛ فالحكم على شعره بقوانين النقد الوضعية ، وآراء الناقدين الشخصية ، لا يضعه في مكانه ، ولا يزنه بميزانه . اقرأه ثم راجع فيه نفسك ، واستشر في أثره حسك ، فاذا وجدت ذهنك يشتغل ، وشعورك يشتعل ، وروحك تتصل بروحه ، وذوقك يرتاح لذوقه ، فثق أنك بإزاء شاعر علت مزاياه على النقد ، وسخرت مواهبه بالقيود :

* * *

إن شوقي سيظل على رغم الهتاف به مغموط الحق مادام الشعر العربي للخاصة ، لأن الخواص أكثرهم لاينصفونه ، والعوام كلهم لايفهمونه ، فمتى زالت معرّة الأمية عن الأمة العربية أصبح لشعره يومئذ شأن وأي شأن

احمد حسن الزيات

٥ – الجمال البائس

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

تتمـــــة

قلتُ لها : إن كلمةَ الكفر لا تكون كافرةً إذا أُكره عليها من أُكره وقلبُه مطمئنٌّ بالايمان ، وكلمةُ الفُجور أهونُ منها وأخفُّ وزناً وشأناً ، ثم لا تكونُ إلا فاجرةً أبداً ، إذ لا إكراهَ على هذه الدَّعارة إكراهاً لا خيارَ فيه . وما أولُ الدَّعارة إلا أن تمُدَّ المرأةُ طرفها من غير حياء ، كما يمدُّ اللصُّ يده من غير أمانة

ومن اضطُرَّ إلى الكفر استطاع أن يخبأ محرابَ المسجد فى أعماقه فيصلى ثمةَ ، ولكن الفجورَ لا يترك فى النفس موضعاً لدين ولا إيمان ، إذ هو دائبٌ فى إثارة الغرائز الطبيعية الحيوانية المسترسلة بلا ضابط ، فيجعلُ المرأة تحيا بعيدةً عن ضميرها ، فيُضعِفُ منها أولَ ما يُضعفُ آثار الآداب والأخلاق ، فيهلك فيها أولَ ما يهلك إحساسها بمعنى المرأة الانسانية وشعورَها بمجد هذا المعنى

فاذا انتهت المرأةُ إلى هذا لم يكن لها مبدأ ولا عقيدةٌ إلا أنَّ على غيرها أن يتحملَ عواقب أعمالها ، وهذه بعينها هى حالة المجنون جنونَ عقله ؛ أفلا تكون المرأةُ حينئذٍ مجنونة جنون جسمها . . . ؟

* * *

فساءَها ذلك وبان فيها ، ولكنها أمسكتْ على ما فى نفسها ؛ والمرأةُ من هؤلاء لا يعنى أمرُها فى الناس ولا يتصلُ عيشها إلا إذا كثرت طباعُها كثرةَ ثيابها ، فهى تخلع وتلبس من هذه وتلك لكل يوم ولكل حالة ولكل رجل ، فينبعث منها الغضبُ وهى فى أنعم الرضى ، كما ينبعث الرضى وهى فى أشد الغيظ ، وكأن لم تغضب ولم ترض لأنها ليست لأحد ولا لنفسها

وتَسارى غضبُها ثم قالت : كان كلامُك أن لك رجاءً إلىَّ ؛ فأنا أحب . . . . أحب أن أعلم

قلت : وأنا كذلك أحب . . . أحب أن أعلم

فضحكت وسُرِّى عنها ، وثبتت على شفتيها ابتسامةٌ لو جاء ملكٌ من السماء ليضعَ فى ثغرها ابتسامةً أجملَ منها لما وجد أجملَ منها

ثم قالت : تُحب أن تعلم ماذا ؟

قلت : أُحبُّ أن أعلم منك قصةَ هذه الحياة ما كان أولُها ؟

قالت : لقد قضيت من حكمك فينا ، ولكنك أخطأت ، فلكل ليل مظلم كوكبه ؛ والكوكب الوقاد المعلَّقُ فوق ليل المرأة منا هو إيمانها . نعم إنه ليس كايمان الناس فى واجباته ولكنه كايمان الناس فى تعزيته ، والله ربُّنا وربُّكم !

قلت : لو أُطيع الله بمعصيته لاستقام لك هذا . وإنما أنت تصفين الايمان الأولَ الذى كان عملاً فصار ذكرى ، فصارت الذكرى أملاً ، فظننتِ الأمل هو الايمان

قالت : ثم إننا جميعاً مكرهاتٌ على هذه الحياة فما نحن إلا صرعى المصادمة بين الارادة الانسانية وبين القدر

قلت : ولكن لم تَهْفُ واحدةٌ منكن فى غلطتها الأولى وهى مستكرهةٌ على غلطة ؛ بل وهى راغبةٌ فى لذة ، أو مبادِرةٌ لشهوة ، أو طالبةٌ لنفعة

قالت : هذا أحدُ الوجهين ؛ أما الآخر فالتماسُ الرزق وصلاحُ العيش . فالرجلُ مع الرجل رأسُ ماله قوتُه ، وعمله بقوته ؛ ولكن المرأة مع الرجل رأسُ مالها أنوثتها ، وعملُ أنوثتها . وفى الوجهِ الأول وجه اللذة والنفعة ، تحتال كلمةُ الفجور على المرأة بكلمات رقيقة ساحرة ، منها الحبُّ والزواج والسعادة ، فتستنزل المرأةُ مضطرةً ليقع شىء من هذا . وفى الوجه الثانى وجه الرزق والعيش ، تحتال الكلمةُ الخبيثةُ الفاجرة على المرأة المسكينة المستضعفة بكلماتٍ رهيبة قاتلة ، منها الجوعُ والفقر والشقاء ، فتسقط المرأة مضطرةً خيفةَ أن يقع شىء من هذا ؛ وفى أحد الوجهين يكون الرجل هو الفاجرَ لفساد آدابه ، وفى الوجه الآخر يكون الفاجرُ هو المجتمع لفساد مبادئه

* * *

قلت : أنا لا أنكر أن المرأة إذا سقطت فى هذه المدنية لم تقع أبداً إلا فى موضع غلطة من غلطات القوانين ، وآفةُ هذه القوانين أنها لم تُحسن منعَ الجريمة أن تقع ، ولكن العقاب عليها بعد

وقوعها . وبهذا عجزت عن صيانة المرأة وحفظها ، وتركتها القانون الغريزة الوحشيّ في هؤلاءَ الوحوش الآدميين الذين يأخذهم السُّعارُ من هذه الرائحة التي لا يعرفونها إلا في اثنين : المرأة الجميلة ، والذهب . فما ألجأت امرأةَ حاجتُها أو فقرها إلى أحدهم ورأى عليها جمالاً إلا ضربه ذلك السُّعار ، فان استخفّت بنزواته وتعسّرت عليه طردها إلى الموت ومنعها أن تعيش من قِبَله ، وإن صَلُحت له وتيسّرت ، آواها هي وطرد شرفها . . .

وذلك بخلاف الدين ، فانه قائم على منع الجريمة ، وإبطال أسبابها ؛ فهو في أمر المرأة يُلزِم الرجلَ واجباتٍ ، ويلزم المجتمعَ واجباتٍ غيرَها ، ويلزم الحكومةَ واجباتٍ أخرى. فأما الرجلُ فينبغي له أن يتزوجَ ، ويتحصَّن ، ويغارَ على المرأة ، ويعملَ لها ؛ وأما المجتمع فيجب عليه أن يتأدّب ، ويستقيم ، ويُعين الفردَ على واجبات الفضيلة ، ويَتَدامَجَ ، ويَشُدَّ بعضُه بعضاً ؛ وأما الحكومة فعليها أن تحمى المرأة فتعاقبَ على إسقاطها عقابَ الموت والألم والتشهير ، لتقيم من الثلاثة حرّاساً جبارة ، من لا يَخْش اللهَ خشيها . فليس يمكن أبداً أن يكون في ديننا موضعُ غلطة تسقط فيه المرأة

قال الأستاذ (ح) : صدقت ، فالحقيقة التي لا مِراءَ فيها أن فكرة الفُجور فكرةٌ قانونية . وما دام القانونُ هو أباحها بشروط فهو هو الذي قررها في المجتمع بهذه الشروط ، ومن هذا التقرير يُقدِمُ عليها الرجل والمرأة كلاهما على ثقة واطمئنان . ومن ثَمّ تأتي الجُرْأةُ على اندفاع الناس إلى ما وراء حدود القانون ؛ ومن هذا الاندفاع تأتي الساقطةُ بآخر معانيها وأقبح معانيها

وتقريرُ سيادةِ المرأة في الاجتماع الأوربي وتقديمُها على الرجال والتأدبُ معها ، كل ذلك يجعل جراءةَ السُّفهاء عليها جراءةً متأدبةً حتى كأن المتحكك منهم في امرأة يقول لها : من فضلك كوني ساقطة . . . أما هنا فجراءة السفهاء جراءةٌ ووقاحةٌ معاً ، وذلك هو سرُّها

القانون كأنما يقول للرجال : احتالوا على رضى النساء فان رضينَ الجريمةَ فلا جريمة ، ومن هذا فكأنه يلهمهم أن براعة الرجل الفاسق إنما هي في الحيلة على المرأة وإيقاظ الفطرة في نفسها بأساليبَ من المَلَق والرياء والمكر تتركها عاجزةً لا تملك إلا أن تُذْعِنَ وترضى . وبهذا ينصرف كل فاجرٍ إلى إبداع هذه الأساليب التي تُطلق تلك الفطرةَ من حيائها ، وتخرجها من عفتها « تطبيقاً للقانون » . . .

ولا سيادةَ في اجتماعنا للمرأة ، ولكن القانون جعلها سيدةَ نفسها ، وجعلها فوق الآداب كلها ، وفوق عقوبة القانون نفسه إذا رضيت ؛ إذا رضيت ماذا . . . ؟

* * *

قلتُ : فاذا كان القانونُ هنا في مسئلتنا هذه يعدلُ بالظلم ، ويحمى الفضيلة باطلاق حرية الرذيلة ، فهو إنما يفسد الدينَ ؛ ويصرف الناسَ عن خوف الله إلى خوف ما يُخافُ من الحكومة وحدها . وبهذا لا يكون عملُه إلا في تصحيح الظاهر من الرجل والمرأة ، ويدعُ الباطن يُسِرُّ ما شاء من خبثه وحيلته وفساده ، فكأنه ليس قانوناً إلا لتنظيم النفاق وإحكام الخديعة . فلا جرمَ كان قانوناً لحالة الجريمة لا للجريمة نفسها ، فاذا أُخذت المرأةُ مُلايَنَةً ورضى فهذا فجورٌ قانوني . . . وإن كانت الملاينةُ هي عملَ الحيلة والتدبير ، وإن كان الرضى هو أثرَ الخداع والمكر ، وإن ضاعت المرأةُ وسقطت وذهب شرفُها باطلاً وألحقه الناسُ بما لا يكون من تَوبة إبليس فلا يكون أبداً . أما إذا أُخِذت مُكارَهَةً وغَصْباً ، فهذه هي الجريمةُ في القانون ؛ ويسميها القانونُ جريمةَ الاعتداء على العِرض ، وهى بأن تُسمى جريمةَ العجز عن إرضاء المرأة أحقُّ وأولى

على أن المسكينةَ لم تؤخذ في الحالتين إلا غَصباً ولكن اختلفت طريقةُ الرجل الغاصب ، فان كلتا الحالتين لم تتأدَّ بالمرأة إلا إلى نتيجة واحدة هي إخراجُها من شرفها ، وحرمانُها حقوق إنسانيتها في الأسرة ، وطردُها وراء حدود الاعتبار الاجتماعي ، وتركُها ثَمَّةَ مُخَلاَّةً لمجارى أمورها ، فلا يتيسر لها العيشُ إلا من مثل ذلك الرجل الفاجر ، فلا تكون لها بيئةٌ إلا من أمثاله وأمثالها كما يجتمع في الموضع الواحد أهلُ المصير الواحد على طريقة القطيع في المجزرة . . . .

* * *

فقالت هي : الحقُّ أن هذه الجريمةَ أولها الحب ؛ وهي لا

تقع إلا من بين نقيضين يجتمعان في المرأة معاً : ركبرُ حبها إلى ما يفوتُ العقل ، وصِغَرُ عقلها إلى ما ينزل عن الحب . والمرأةُ تظلُّ هادئةً ساكنةً وزينةً حتى تصادفها اللحاظُ النارية من العين المقدَّرة لها فلا يكون إلا أن تملأها لَهَبا . ولتكن المرأة من هي كائنةً فانها حينئذ كمستودع البارود يهولُ عظَمُه وكِبَرُه ، وهو لا شيء إذا اتصلت به تلك الشرارةُ الهاجِيَة

وليست حراسةُ المرأة شيئاً يُؤبَهُ له أو يُعتَدُّ به أو يسمَّى حراسة ، إلا إذا كانت كالتحفظ على مستودع البارود من النار ؛ فيستوى في وسائلها الخوفُ من الشرارة الصغيرة والفزعُ من الحريق الأعظم ، فيُحتاطُ لأنهما بوسائلَ واحدة في قَدْر واحد واعتبار واحد

وإذا تُركت المرأةُ لنفسها تحرسُها بعقلها وأدبها وفضلها وحريتها ، فقد تُرك لنفسه مستودعُ البارود تحرسُه جدرانهُ الأربعةُ القوية . . . .

والرجال يعلمون أن للمرأة مظاهرَ طبيعيةً من الخيلاء والكبرياء والاعتداد بالنفس والمباهاة بالعفة ؛ ولكن هؤلاء الرجالَ أنفسَهم يعلمون كذلك أن هذا الظاهر مخلوقٌ مع المرأة بجِلد جسمها الناعم ، وأن تحته أشياءَ غيرَ هذه تعمل عملَها وتصنع البارودَ النسائي الذي سينفجر . . . .

* * *

قلت : إذا كان هذا فقبح الله هذه الحريةَ التي يريدونها للمرأة . هل تعيش المرأةُ إلا في انتظار الكلمة التي تحكمها بلطف ، وفي انتظار صاحب هذه الكلمة ؟

قالت : إن هذا حقٌّ لا ريب فيه ، وأوسعُ النساء حريةً أضيعُهنَّ في الناس ؛ وهل كالمومس في حريتها في نفسها ؟

ولكن يا شؤمها على الدنيا . إنها هي بعينها كما قلتَ أنت حريةُ المخلوق الذي يُترك حراً كالشريد لتُجرِّبَ فيه الحياةُ تجاريبَها المؤلمة . وماذا في يد المرأة من حريةٍ هي حريةُ القدر فيها ؟

قلت : ولهذا لا أرجع عن رأيي أبداً ، وهو أنه لا حرية للمرأة في أمة من الأمم إلا إذا شعر كلُّ رجل في هذه الأمة بكرامة كل امرأة فيها ، بحيث لو أهينت واحدة ثار الكلُّ فاستقادوا لها ، كأن كراماتِ الرجال أجمعين قد أهينت في هذه الواحدة . يومئذ تصبح المرأةُ حرةً ، لا بحريتها هي ، ولكن بأنها محروسة بملايين من الرجال . . . .

فضحكتْ وقالت : (يومئذ) هذا اسمُ زمان أو اسمُ مكان . . . . ؟

* * *

قال الأستاذ (ح) : ولكنا أبعدْنا عن قصة هذه الحياة ، ما كان أولها ؟

قالت : إن الشبانَ والرجالَ علمٌ يجب أن تعلمه الفتاة قبل أوان الحاجة إليه . ويجب أن تقرَّ في ذهن كل فتاة أن هذه الدنيا ليست كالدار فيها الحب ، ولا كالمدرسة فيها الصداقة ، ولا كالمحل الذي تبتاع منه منديلاً من الحرير أو زجاجةً من العطر فيه إكرامها وخدمتها

وأساسُ الفضيلة في الأنوثة الحياء . فيجب أن تعلم الفتاةُ أن الأنثى متى خرجت من حيائها وتهجَّمتْ ، أي توقَّحتْ ، أي تبذَّلتْ ، استوى عندها أن تذهبَ يميناً أو تذهب شمالاً ، وتهيأت لكلٍّ منهما ولأيهما اتفق . وصاحباتُ اليمين في كَنف الزوج وظل الأسرة وشرف الحياة . وصاحباتُ الشمال ماصاحبات الشمال . . . . . . ؟

قلت : هذا هذا ؛ إنه الحياءُ ، الحياءُ لا غيره . فهل هو إلا وسيلةٌ أعانت الطبيعةُ بها المرأةَ لتسموَ على غريزتها متى وجب أن تسموَ فلا تلقى رجلاً إلا وفي دمها حارسٌ لا يتغفل . وهل هو إلا سلبٌ جعلته الطبيعةُ إلى ذلك الايجاب الذي لو انطلق وحده في نفس المرأة لاندفعت في التبرج والاغراء وعرض أسرار أنوثتها في المعرض العام . . . . ؟

قالت : ذاك أردتُ ، فكل ما تراه من أساليب التجميل والزينة على وجوه الفتيات وأجسامهن في الطرق ، فلا تَعُدَّنه من فَرْط الجمال بل من قلة الحياء

واعلم أن المرأة لا تخضع حقَّ الخضوع في نفسها إلا لشيئين : حيائها وغريزتها

قلت : يا عجباً ! هذا أدقُّ تفسير لقول تلك المرأة العربية : تجوعُ الحرّةُ ولا تأكلُ بثديها . فإن اختضعتْ المرأة للحياء كفّت غريزتها

قالت : وجعلها الحياء صادقةً في نفسها وفي ضميرها ، فكانت هي المرأةَ الحقيقيةَ الجديرةَ بالزوج والنسل وتوريث الأخلاق الكريمة وحفظها للانسانية

قلت : ومن هذا يكون الاسرافُ في الأنوثة والتبرج أمام الرجال كذباً من ضمير المرأة

قالت : ومن أخلاقها أيضاً . ألا ترى أن أشد الاسراف في هذه الأنوثة وفي هذا التبرج لا يكون إلا في المرأة العامة . . . ؟

قلت : والمرأة العامة امرأةٌ تجاريةُ القلب . فكأن المرأة في أنوثتها وتبرجها ، هذه سبيلُها فهي لا تؤمن على نفسها

قالت : قد تؤمن على نفسها ، ولكنها أبداً مومسُ الفكر في الرجال فيوشكُ ألا تُؤْمَن . وهي رَهنٌ بأحوالها وبما يقع لها ، فقد يتقدم إليها الجرئ وقد لا يتقدم ، ولكنها بذلك كأنها معلنةٌ عن نفسها أنها « مستعدة ألا تُؤْمَن » . . . .

قال (ح) : لكن يقال إن المرأة قد تتبرج وتتأنّث لترى نفسها جميلةً فاتنة ، فيعجبها حسنها ، فيسرُّها إعجابها

قالت : هذا كالقول إن أستاذ الرقص الذي رأيته هنا ، يُنظر إلى نفسه كما ينظر رجل إلى راقصة تتأوّدُ وتهتزُّ وتترجرج . إن هذا الراقص فيه الحركة الفنية كما هي حركةٌ ليس غير ؛ فهو كالميزان أو القياس أو أيِّ آلات الضبط . أما فتنةُ الحركة وسحرها ومعناها من المرأة الفاتنة في وهم الرجل المفتون بها ؛ فهذا كلّه لا يكون منه شيء في أستاذ الرقص وإن كان أستاذَ الرقص

إن أجمل امرأة تبصقُ بفمها على وجهها في المرآة ، إذا مُحِي الرجلُ من ذهنها ، أو لم يُطلّ بعينيه من وراء عينيها ، أو لم تكن ممتلئة الحواسّ به ، أو بإعجابه ، أو بالرغبة في اعجابه . فمهما يكن من جمال هذه فانها لا ترى وجهها حينئذ إلا كالدنيا إذا خلَتْ من العدل . . .

* * *

قلت : ولكننا أبعدنا عن « قصة هذه الحياة ما كان أولها ؟ »

قالت : سأفصل ذلك لوضعك عندي . إن قصتي في الفصل الأول منها هي قصةُ جمالي ؛ وفي الفصل الثاني هي قصة مرض العذراء ؛ وفي الفصل الثالث هي قصة الغفلة والتهاون في الحراسة ؛ وفي الفصل الرابع هي قصة انخداع الطبيعة النسوية المبنية على الرقة وإيجاد الحب وتلقّيه والرغبة في تنويعه أنواعاً للأهل والزوج والولد ؛ ثم في الفصل الخامس هي قصة لؤم الرجل . كان محباً شريفاً يُقسِمُ بالله جَهْدَ أيمانه ، فاذا هو كالمزوِّر والمحتال واللص وأمثالهم ممن لا يُعرفون إلا بعد وقوع الجريمة .

ثم سكتتْ هُنَيهةً ، فكان سكوتُها يتمّ كلامها . . .

وقال (ح) : فما هو مرضُ العذراء الذي كان منه الفصل الثاني في الرواية ؟

قالت : كل عذراءَ فهي مريضة إلى أن تتزوج ؛ فيجب أن يعلمها أهلها أن العلاج قد يكون مسموماً ؛ وينبغي أن يحوطوها بقريب من العناية التي يحاط المريضُ بها ، فلا يُجعل ما حوله إلا ملائماً له ، ويُمنع أشياءَ وإن أحبها ورغب فيها ، ويُكرَهُ على أشياءَ وإن عافها وصَدَف عنها

قال (ح) : فيكون القانونُ الاجتماعيُّ تصديقاً للقانون الدينيّ من أن الذكورةَ هي في نفسها عداوةٌ للانوثة ، وأن كل رجل ليس ذا رَحِمٍ مَحرَمٍ (١) يجب أن يكون مرفوضاً إلا في الحالة الواحدة المشروعة وهي الزواج

قالت : فتكون المشكلةُ الاجتماعية هي : من ذا يُرغم الذكورةَ على هذه الحالة الواحدة المشروعة كيلا تضيع الأنوثة ؟

قال : ولكن إذا كان سقوطُ الفتاة هو جناية « الزواج المزوَّر » فما عسى أن يكون سقوطُ بعض المتزوجات ؟

قالت : هو جناية « الزواج المنقَّح » . . . . تريد أنفسهن الخبيثة تنقيح الزوج ؛ والمومسات أشرفُ منهن إذ لا يعتدين على حق ولا يخُنّ أمانة

* * *

ورفَّ على وجهها في هذه اللحظة شعاعٌ من الشمس كان

(١) يقال ذو رحم محرم أي لا يحل للمرأة كأبيها وأخيها الخ

على جبينها كصفاء اللؤلؤ ، ثم تحول على خـدها كاشراق الياقوت ؛ ورأتني أتأملُه فقالت : أنا مُنْتَشِيةٌ بحظّى في هذه الساعات ؛ وهذا الشعاعُ إنما جاء يختم نورَها

ثم كانت السخرية العجيبة أنها لم تتم كلمة النور حتى جاء حظها الحقيق من حياتها .... وهو رجلٌ يَتَحَظَّاها ؛ فلما أخذته عينُها ابتسمت له ابتساماً من الدلّ لو لم تجعله هي ابتساماً لكان دموعاً . ثم وقفت وما تماسكُ من الهم ، كأنها تمثال « الجمال البائس » . ثم سلَّمتْ وودَّعت . وبعد « واوات » أخرى ... مشتْ ساكنةً ومَرْآها يضجُّ ويبكى

فوداعاً يا أوهامَ الذكاء التى تلمسُ الحقائق بقوة خالقة تزيد فيها !

ووداعاً يا أحلامَ الفكر التى تضع مع كل شىء شيئاً يغيِّره !

ووداعاً يا حبَّها ....؟

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

إلى ا . س . بأم درمان . لم يقع لى كتابك الأول ، وأشكرك كثيراً

وانتظروا إنا معكم منتظرون الرافعي

أحلام الســـلام

وكيف انهارت فى خمسة عشر عاما ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان حلماً لم يطل أمده أكثر من خمسة عشر عاماً ؛ ذلك هو حلم السلام الذى توهمت أوربا وتوهم العالم أنه سينعم فى ظله حقبة من الزمن تكفى لبرء ما أثخنه من جراح ، وما أصابه من استنفاد وتخريب وتحطيم . وقد لاح للانسانية مدى حين أنها تستقبل عصراً جديداً من السلام والأخاء الدولى والتفاهم الحسن ، واعتقدت الشعوب مدى حين أن قيام عصبة الأمم ، وعقد مواثيق التحكيم ، والتبشير بنزع السلاح ، إنما هى عناصر جديدة فى بناء العالم الجديد ، وأنها الدعائم الأولى لصرح ســلام جديد لا تزعزعه الشهوات القومية والنزعات الحربية ؛ واستمر هذا الحلم يسطع حيناً ويخبو حيناً ، زهاء عشرة أعوام ، وبلغ ذروة قوته وروعته حينما عقد ميثاق تحريم الحرب الأمريكى ، ونص فيه على أن الحرب قد حرمت كأداة للسياسة القومية ، وتعهدت الدول بألا تلجأ فى تسوية منازعاتها لغير التفاهم والتحكيم

ولكن حلم السلام تبدد فجأة ، فرفعت عصبة الأمم قناعها المموه ، وانهار مؤتمر نزع السلاح ، وظهر أن ميثاق تحريم الحرب لم يكن أكثر من قصاصة ورق ، واختفت أصوات الساسة الذين يستظلون بأحاديث السلام ، وعلت كلمة الداعين إلى التسليح ، وإلى تحطيم المعاهدات القديمة ، وإلى الانتصاف القوى ، وإلى تحقيق المطامع الاستعمارية . ولم يكن هذا التحول مفاجأة لأولئك الذين يعرفون سير التاريخ ، ويستشفون طرف الحقيقة من وراء المظاهر الخادعة ، ولكنه كان بالطبع مفاجأة أليمة للشعوب الآمنة التى ما زالت تحتمل على كاهلها كل عبء وكل تضحية فى سبيل الشهوات السياسية والقومية ، والتى ما زالت ترتجف فرقاً لذكريات الحرب الكبرى

كان مؤتمر الصلح الذى عقد فى فرساى بين مارس ويونيه سنة ١٩١٩ ، أعظم مؤتمر دولى شهده التاريخ ، وكانت معاهدة الصلح التى تمخض عنها هـذا المؤتمر أعظم معاهدة عقدت بين الأمم ، وأوسعها مدى ، وأبعدها أثراً فى سير التاريخ وفى تغيير أوضاع العـــالم الحديث ؛ بل كانت معاهدة فرساى فى الواقع دستوراً جديداً للعالم ، تغير كثيراً من معالمه الجغرافية والتاريخية ، وتقرر حدوداً جديدة ، وتنشئ أمماً ودولاً جديدة ، وتقضى على أمم ودول أخرى بالاختفاء من خريطة أوربا . ولم يكن ذلك لأن هذه الدول الجديدة أكثر حقاً فى الحياة من الدول المختفية ، أو لأن قيامها يكون أكثر تحقيقاً للعدالة الدولية وسير التاريخ ، ولكن لأن قيامها يحقق شهوات عسكرية وسياسية للدول الظافرة ، ولأن اختفاء الأمم القديمة يقضى على وحدات سياسية وعسكرية ضخمة كانت تخشاها الدول الظافرة . وقد عرف التاريخ الحديث كثيراً من هـذه المعاهدات والمؤتمرات الدولية الكبرى التى كانت تغير معالم أوربا ، وتفتتح فى تاريخها عصراً جديداً ، فمعاهدة وستفاليا التى اختتمت بها حرب الثلاثين فى سنة ١٦٤٨ ، ومؤتمر فينا الذى عقد فى سنة ١٨١٤ لتسوية المشاكل والتغييرات التى أحدثتها الحروب النابوليونية ، ومؤتمر برلين الذى عقد على

أثر الحرب التركية الروسية (سنة ١٨٧٨)، والذى اسفر عن تمزيق الدولة العثمانية القديمة، وسلخ معظم أملاكها الأوربية، كلها أمثلة من هذه المؤتمرات الشهيرة الحاسمة ذات الأثر البعيد فى مصاير التاريخ والأمم؛ ولكن مؤتمر فرساى كان أعظمها جميعاً وأبعدها أثراً

وقد ظن العالم بعد أن شهد مصائب الحرب وويلاتها المروعة مدى أربعة أعوام، انه يستطيع أن يعتصم من خطر الحرب بدروسها وعبرها الأليمة، وان مالقيته الأمم من فظائعها وأهوالها فى هذه الفترة السوداء من تاريخ الانسانية، كفيل بأن يزهدها فى الحرب وخوضها أمداً طويلاً؛ وقامت عصبة الأمم لتكون أداة صلح وتفاهم بين الدول المتنازعة، ونظم مؤتمر نزع السلاح ليعمل على تحديد التسليح إلى الحد الذى يتفق مع السلامة القومية، وعقد ميثاق لوكارنو ليكون دعامة فى صرح التفاهم بين أعداء الأمس، وليقرب ما بين فرنسا وألمانيا، وعقدت بين مختلف الدول مواثيق بعدم الاعتداء، وكللت دعوة السلام بعقد ميثاق تحريم الحرب، وغمرت صيحة السلام والتفاهم جو السياسة العالمية مدى حين؛ ولكن هذه المظاهر الخلابة لم تك إلا ستاراً خادعاً تضطرم من ورائه ضرام الأحقاد والمنافسات القومية الخالدة؛ فقد كانت الأمم الظافرة والمغلوبة معاً تجد فى مضاعفة تسليحها وأهباتها العسكرية، وكانت المعاهدات والمحالفات السرية تعقد كما كانت تعقد من قبل، وتؤلف من الدول جماعات وكتل خصيمة مثلما كانت بالأمس؛ وكانت عصبة الأمم أثناء ذلك تنحدر شيئاً فشيئاً إلى أداة لينة فى يد الدول الكبرى توجهها لتحقيق مآربها السياسية أو الاستعمارية؛ وهكذا وقف العالم فجأة على الحقيقة المرة، وهى أن هذه الخمسة عشر عاماً التى انقضت على خاتمة الحرب الكبرى لم تكن إلا فترة استعداد واستجمام، تستعيد فيها الدول نشاطها وتنظم اهباتها ومواردها، تحفزاً لحرب أخرى

وكما أن الحرب الكبرى كانت فورة المطامع والاهواء الاستعمارية والمنافسات التجارية والصناعية، فكذلك ستكون حرب الغد؛ وقد ظهرت بوادرها الأولى، بل لقد اضرمت شرارتها الأولى بذلك الهجوم البربرى الذى نظمته إيطاليا عن عمد وسبق اصرار لغزو الحبشة؛ وليس فى تاريخ الاستعمار كله اعتداء دبر بمثل هذا الاصرار الآثم والصراحة المثيرة، وان كان تاريخ الاستعمار كله يقوم على العدوان والجريمة؛ وهذه الشرارة التى تضرمها إيطاليا الفاشستية تسطع الآن فى ارجاء أوربا، وقد يندلع لهيبها بين آونة وأخرى؛ ولكن إيطاليا الفاشستية تتحدى أوربا كلها والعالم كله، ولن يضيرها أن تضطرم أوربا غداً بنار حرب عامة؛ ذلك أنها تذهب بعيداً فى الاعتداد بقوتها واستعدادها وما تثيره فكرة الحرب من الذعر والروع، وقد أخذت بنفس الأحلام القيصرية التى أخذت بها العسكرية البروسية فى الحرب الكبرى. ولقد كانت الفاشستية منذ قيامها بالنسبة للمثل الانسانية العليا عاملاً من عوامل الدمار والهدم، فقد هدمت صرح الديموقراطية والنظم الحرة والكرامة الفردية ومبادئ العدالة الخالدة، وجعلت من الشعب كتلة مصفدة مسوقة، تدفعها ارادة الطغيان المسلح إلى حيث لا تعلم ولا تبغى؛ والفاشستية تنزع بطبيعتها إلى العنف والعدوان ولا تعتمد إلا على القوة الهمجية، كما أنها لا تخضع لغير هذه القوة؛ وهى تجوز الآن فى إيطاليا — وفى ألمانيا أيضاً — ذروة تجاربها ومغامراتها؛ وسنرى ما إذا كان هذا الاندفاع الدموى الذى تصوره عقلية الفاشستية العنيفة فى صور العظمة والمجد القيصرى، سيغدو قبراً للفاشستية أم سيحقق شيئاً من مطامعها وأحلامها

وهكذا تطورت فكرة الحرب والسلام بسرعة، وعادت فكرة الحرب كأداة للسياسة القومية تتخذ مكانتها الخالدة فى تفكير الأمم القوية؛ ولم تكن فكرة السلام العام سوى حلم وخدعة، استظلت بها الدول الظافرة حتى تستر نصرها وتفوقها المسلح، واستظلت بها الدول المغلوبة حتى تستأنف استعدادها وتسلحها؛ ولم يكن من المعقول أن يبقى الظافر متغلباً إلى الأبد، ولم يكن من الممكن أن يبقى المغلوب ضعيفاً مهيضاً إلى الأبد؛ والآن نجد أعداء الأمس — الغالب والمغلوب — وجهاً لوجه، يلوح كل منهما بقوته واستعداده، ويفصح عن مطامعه وغاياته التى كان يسترها بالأمس لضعف فى أهبته؛ نرى ألمانيا بعد أن

استعادت حريتها في التسليح وأخذت تستأنف أهبتها العسكرية، تطالب بتعديل حدودها واسترداد مستعمراتها؛ ونرى فرنسا تعمل بكل ما وسعت لمضاعفة أهبتها وتوطيد الجبهة التي حشدتها ضد ألمانيا، ونراها لا تحجم في هذا السبيل عن مناصرة ايطاليا في مشروعها الدموي لافتراس الحبشة، لكي تحتفظ بصداقتها وعونها ضد ألمانيا في الغد المرتقب، ونرى حمى الحرب تسري إلى جميع أرجاء أوربا، والدول جميعاً تأخذ أهبتها لمعركة عامة لم يبق على نشوبها إلا مسألة زمنية، وقد تنشب في أية لحظة في أسابيع أو أشهر قلائل

والخلاصة أن العالم، بعد أن تبدد حلم السلام الزائف يجد نفسه في نفس الحالة النفسية والواقعية التي كانت في سنة ١٩١٤؛ وبعد أن كان حديث الحرب قبل عامين أو ثلاثة يعتبر مسألة بغيضة بعيدة الاحتمال، إذا بشبح الحرب الأوربية يحلق في الأفق واضحاً قوي النذير، وليس من ريب في أن الفاشستية تحمل كثيراً من تبعة هذا التطور الدولي الخطر؛ ولقد كان انهيار الديموقراطية في ايطاليا وألمانيا وغيرهما محنة بعيدة الأثر؛ ذلك أن الديموقراطية أكثر إيماناً بمبادئ السلام والانسانية؛ وأما الفاشستية وزعامتها الفاشحة فلا تؤمن إلا بالقوة المنيفة، ولا تؤمن بحق الفرد أو الأمة، ولا تسيرها سوى العوامل والشهوات الحزبية والمذهبية الضيقة؛ وقد عملت الفاشستية باستمرار على اذكاء الأحقاد الجنسية والقومية، وعلى اضرام روح العدوان والحرب، وإضرام المطامع والمنافسات القديمة التي كانت من أكبر العوامل في اثارة الحرب الكبرى، فهي اليوم تحمل أكبر تبعة في خلق هذه العقلية العسكرية المتحفزة التي تعمل لاشعال نار الحرب بكل ما وسعت من جرأة واستهتار بكل مبادئ الحق والسلام

إن التاريخ يعيد نفسه بصورة واضحة؛ ولقد كانت القوة وما زالت خلال العصور عماد السياسة القومية؛ وليس التاريخ كله سوى مراحل متعاقبة من نضال قوي لا تتفوق فيه لغير القوة الفاشحة، ولم يتقدم العالم خطوة في هذا المعنى عما كان عليه في العصور الوسطى؛ ولقد كان ممكناً أن تكون عصبة الأمم ومبادئها رمزاً للتقدم في تقدير الحقوق القومية والسلام العالمي، لو لم تعرض العصبة منذ بدايتها لتأثير نفس الأهواء بوسائل وأسماء أخرى،، ولو لم تنابذها دول قوية كاليابان وألمانيا، لأنها لم تستطع أن تؤثر في توجيهها؛ وها هي ذي عصبة الأمم تواجه قدرها المحتوم، فإما أن تستطيع بكثير من الشجاعة والجرأة أن تضرب على أيدي أولئك الذين عبثوا بمبادئها واجترأوا على تعكير السلم، وأن تنفذ ما اتخذته أخيراً من القرارات الحازمة، وعندئذ تسترد كل ما فقدت من هيبة، وترد إلى الشعوب الضعيفة شيئاً من الأمل، وكثيراً من الثقة؛ وإما أن يخونها التوفيق مرة أخرى، فينهار آخر حجر في صرح التفاهم الدولي، وتنطلق الشهوات القومية من عقالها سريعة لا تلوي على شيء، وعندئذ يضطرم العالم مرة أخرى بضرام حرب يعلم الله وحده مداها ومبلغ هولها وروعتها؟

محمد عبد الله عنان

٥ - فريزر ودراسة الخرافة

للدكتور ابراهيم بيومي مدكور
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

تتمة

تخير فريزر أربعة من النظم الاجتماعية ليبين ما للخرافة من أثر في نشأتها وتكوينها. وهي: الحكومة، والملكية الفردية، والزواج، واحترام الحياة الانسانية. فأثبت في وضوح أن الخرافة ساعدت على تأييد الحكومة وبسط نفوذها، وكانت عاملاً قوياً من عوامل الأمن والنظام. وثبتت كذلك دعائم الملكية الشخصية وصيرتها مقدسة بحيث أصبحت في مأمن من السلب والعدوان، واستطاع أصحابها أن ينتفعوا بها تمام الانتفاع. وحاربت الزنا والزناة فدفعت الناس إلى الزواج وحببتهم في الحياة الأسرية. ثم صورت الخرافة أخيراً الموتى والقتلى في صورة أشباح عظيمة الهول وأرواح تنتقم ممن اعتدى عليها، فكان في هذا ما صرف الناس عن سفك الدماء ودفعهم إلى احترام الحياة الانسانية؛ وهذه النظم الأربعة هي عماد البناء الاجتماعي بأسره، إذا اضطرب واحد منها اضطربت له الجمعية كلها. فكأن الخرافة لم تؤثر في بعض النظم الاجتماعية فحسب، بل أثرت في عناصر الحضارة والتقدم على اختلافها. هي شر جاء من طريقه خير كثير، وخطأ في ذاتها إلا أنها هدت الناس إلى صواب عظيم. وليس يعني الجمعية أن تكون مدفوعة إلى الخير ببواعث خيرة بقدر ما يعنيها أن تصل إلى هذا الخير من أي طريق كان وكيفما كانت الدوافع. والأفراد أنفسهم لا يخرجون عن هذا القانون ولا يتعدون هذا النظام، إذ ما دامت أعمالنا طيبة، فليس يعني الغير كثيراً أن تكون نوايانا صالحة. ولئن ملأت الخرافة أدمغة الناس بخزعبلات لا حصر لها وقادتهم إلى أخطر الويلات، لمن الظلم أن ننسى أياديها في الترفيه عن الانسانية والدفاع عن المجتمع. وكفاها احساناً أنها هيأت للعجزة، والضعفاء، والجهلة، وناقصي العقول وسيلة من وسائل العمل الصالح وسلكت بهم سبل الخير. فهي كالعود قد ينقذ غريقاً، أو كالفنار الضئيل الذي، وإن لم يتجاوز ضوؤه ظله، يهدي كثيراً من المارة وعابري السبيل

تابعنا فريزر في المقالات السابقة، وسرنا وراءه خطوة خطوة رجاء أن نعرض صورة كاملة من آرائه وأبحاثه. وعلّ القارئ قد تبين في هذه الصورة غزارة مادة العالم الانجليزي وسعة اطلاعه وتمكنه من موضوعه. فهو لا يكتفي بأن يدرس ظاهرة من الظواهر الاجتماعية لدى قبيلة أو شعب أو طائفة، وإنما يستقرى الشعوب ويتتبع الجمعيات على اختلافها: فمن زنوج إفريقية إلى هنود أمريكا، ومن متوحشي استراليا إلى سكان الهند والصين، ومن القبائل الهمجية إلى الأمم المتحضرة، ومن العصور القديمة إلى التاريخ المتوسط والحديث. تشهد أمثلته، فوق غزارتها، وحسن اختيارها، بدقة الملاحظة والتعمق في البحث. هذا إلى خيال رائع، وأسلوب جذاب، وأحكام متواضعة لا زهو فيها ولا ادعاء، ولا مبالغة، ولا تهويل، قد أملتها دراسة هادئة، واستنبطتها عقلية متزنة. ويكفي للبرهنة على ذلك أن نسرد الفقرة التالية التي ختم بها فريزر بحثه إذ يقول: «ها كم، سيداتي وسادتي، دفاعي عن الخرافة الذي قد يعرض تخفيفاً عن هذا المتهم الساقط حين يقف بين يدي القضاة، ومع هذا سيحكم عليه بالاعدام لا محالة؛ غير أن هذا الحكم لن ينفذ في جيلنا الحاضر، وسيبقى موقوف التنفيذ إلى أجل بعيد. وما أنا إلا محام - لا خصم - يتقدم إليكم الليلة. وقد كانت محكمة أثينا العليا لا تقضي في الجنايات إلا ليلاً، لهذا تخيرت الليل للدفاع عن سلطان الظلام. والآن، ونحن في ساعة متأخرة، يجدر بي أن أختفي مع موكلي الأشأم قبل أن يصيح الديك، ويبدو ضوء الفجر الرمادي في الأفق[1]»

وفي دراسة فريزر للخرافة ناحية أخرى جديرة بالتقدير، ذلك أنه أخذ على عاتقه نصرة قضية يتبادر إلى الذهن بطلانها. يكاد يجمع الناس على أن الخرافة مبعث شر ومثار فتنة؛ ويأبى فريزر إلا أن يخرج على هذا الاجماع معلناً أن في باطن هذا الشر خيراً عظيماً وأن الخرافة أساس النظم الاجتماعية الهامة. وقد نجح نجاحاً كبيراً في اثبات دعواه والبرهنة على ما كان يرمي إليه. بيد أنه لا يفوتنا أن نلاحظ أن ما يسميه فريزر خرافة هو في

(1) Frazer, L' avocat du diable, pp. 294 — 95

رأى معتنقيه دين وعقيدة . فالهمجى يخضع للملوك والحكام خضوع الوثن بسلطانهم الخارق للمادة وهيبتهم الصادرة عن السماء ، ويؤمن بأن مال سيده ورئيسه مقدس فلا يمسه بسوء ، ويعتقد أن الزنا مجلبة للصواعق والجدب والقحط فلا يقربه ، ويخشى الأرواح والأشباح خشية الواثق من وجودها فلا يقتل نفساً ولا يسفك دماً . ولو خالجه الشك يوماً فى هذه المعتقدات ما انقاد لها ، ولو جال بخاطره أنها تمت إلى الخرافة بصلة لنبذها نبذ النواة . نعم إن من الديانات ما هو حق ومنها ما هو باطل ؛ ولكن الفكرة ، صواباً كانت أم خطأ ، متى اكتست بكساء الدين أضحت قوة هائلة وأثرت فى المجتمع تأثيراً نافعاً . ولو لم يكن للأديان إلا هذا النفوذ فى قيادة الشعوب والتأثير فى الجماهير لكفى فى نصرتها والاستمساك بها

ونستطيع أن نأخذ على فريزر — فوق هذا — عنايته بالأمثلة وتعلقه بالحوادث الجزئية أكثر من بحثه عن القواعد الشاملة والقوانين العامة . وهذا نقد يصدق على مدرسة الاجتماع الانجليزية الحديثة بأسرها التى قامت أعمالها أولا وبالذات على الرحلة والمشاهدة دون أن تعير النظريات والضوابط اهتماماً كبيراً ، وقد جاراها فريزر فى هذا التيار . انظر أى كتاب من كتب سبنسر أو وسترمرك أو تيلور الاجتماعية مثلاً تجد أنك تنتقل من مشاهدة إلى مشاهدة ومن مثال إلى آخر ، وقل أن تظفر بقضية عامة أو أصل ثابت . نحن لا ننكر أن هذه الطريقة أفادت علم الاجتماع مادة غزيرة وثروة طائلة ، إلا أن هذه المادة لم تهيأ بعد للتغذية ، وهذه الثروة لما تستثمر . هى مادة أولية « خام » ، ان صح هذا التعبير ، فى حاجة إلى من يستخلص منها روحها وما حوت من أسرار . وقد فطن علماء الاجتماع الفرنسيون — وهم أبعد الناس عن السفر وأرغبهم عن الرحلة — إلى هذا النقص فكملوه ، واستغلوا التجارب والمشاهدات الانجليزية استغلالاً حسناً ، وصاغوا المعلومات الاجتماعية فى القوالب العلمية الحق . فاذا كان علم الاجتماع مديناً لرحالة الانجليز والأمريكان بما فيه من مشاهدات جزئية وحوادث واقعية ، فان الفضل فى كثير من نظرياته وقوانينه يرجع إلى المدارس الفرنسية

ومهما يكن فهناك نقطتان هامتان نخرج بهما من أبحاثنا السابقة فى الخرافة ، أولاها خاصة بمصر والشرق فى جملته ، وتتلخص فى أنه يسود هذه الديار قدر وفير من الخرافات أشرنا إليها سلفاً . فالخرافة متوغلة فى كثير من معتقداتنا وعباداتنا ، فى عاداتنا وتقاليدنا ، فى آرائنا وأفكارنا . وليس معنى هذا أن أوربا خالية من أية خرافة ؟ كلا فللغرب خرافات كما للشرق ، والجميات على اختلافها لا تستطيع أن تتخلى عن مجموعة من الخرافات ترى فيها غذاء لميولها وأحلامها . ولكن مما لا شك فيه أن الخرافة وجدت بين ظهرانينا مرتعاً خصيباً فنمت وترعرعت . وما أجدرنا بأن ندرس خرافاتنا لنعرف أصلها ونشأتها وصلتها بالخرافات العالمية الأخرى ؛ وبذا نستطيع معالجتها أو مطاردتها والتخلص منها . فخرافة « الزار » مثلاً ظاهرة اجتماعية تتطلب دراسة تاريخية مقارنة فيها كثير من بواعث السرور ووسائل التشويق . وما تخيرنا الخرافة بين الأبحاث الاجتماعية الكثيرة إلا لنلفت الأنظار إلى هذه الأرض الخصبة التى لم تستكشف وهذا العمل الذى لم يبدأ فيه بعد

وقد لاحظنا من قبل اجماع بعض القبائل على اعتناق خرافة ما ؛ وفى هذا ما يؤذن أن للانسانية ، وإن تنوعت بتنوع البيئة والوسط ، تراثاً عاماً يأخذه الخلف عن السلف ؛ وأن الانسان المتحضر ليس إلا صورة مهذبة للانسان المتوحش . نحن فى كثير من آرائنا وعاداتنا وتقاليدنا عالة على من كان قبلنا ، بل تكاد تكون شخصيتنا ونظام تفكيرنا من صنع القرون الغابرة . فلندرس إذن النظم الاجتماعية على ضوء التاريخ ان كنا نريد فهمها على وجهها الصحيح ، لاسيما ونحن مخدوعون غالباً بما ألفناه . فكثيراً ما يلبس الشيء فى أعيننا لباس العقل والمنطق فى حين أنه يعتمد على أساس خرافى وأصل ضعيف . وكم من عمل عادى فردى أو جمعى نقوم به اليوم دون أن نعيره أية أهمية فى حين أنه كان بالأمس ذا صلة بعقيدة خاصة أو عبادة محترمة . وقد تنبه علماء الاجتماع المحدثون إلى هذا فشرحوا لنا أموراً ما كنا نفكر فى سردها وتعليلها . وعلى الجملة فالانسانية أشبه ما تكون بشجرة ممتدة الأغصان مترامية الأطراف قد مرت عليها عصور طويلة وأجيال كثيرة ، ولا يمكن فهم طبيعتها وفصيلتها والمؤثرات فى ثمرتها إلا إن بدأنا بجذورها الأولى وعرفنا كيف نمت وتكونت

ابراهيم بيومى مدكور
دكتور فى الآداب والفلسفة

العامية والعربية أيضاً

ألفاظ صحيحة لم لا نستعملها ؟

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

لما فتح العرب مصر لم تكن العربية لغة البلاد ، وإنما كانت لغة القوم خليطاً من المصرية القديمة والأغريقية والرومانية وغيرها ، ثم أخذت العربية تحل محل هذا المزيج ، وبدأت مصر بعد رسوخ الاسلام فيها تساهم بحظ فى النشاط الذى كانت بغداد مصدره ، على خلاف الحال فى إفريقية الشمالية ، حيث كان انتشار العربية بطيئاً جداً ، حتى أنه — إلى القرنين التاسع والعاشر — لم تكن ثم دائرة أدبية تستحق الذكر إلا فى القيروان بتونس ، على حين كانت مصر قد صارت فى القرن التاسع مركزاً لمدرسة تاريخ مستقلة فى العالم الاسلامى . ومما ساعد على رسوخ اللغة العربية فى مصر ونجاتها من العوامل التى كانت تحدث أثرها فى هذه اللغة فى آسيا ، دخول الفاطميين وقيام دولتهم فى مصر ، فقد كانوا أنصاراً للعلم والثقافة ، ومن أجل آثارهم هذا الأزهر الذى ظل بعد خراب نظائره فى آسيا أكبر جامعة اسلامية ، ولا يزال كذلك إلى الآن ؛ فلا عجب إذا كانت عامية مصر أصح من عاميات الأمم العربية الأخرى وأقرب إلى الفصيح

وقد سقت أمثلة فى فصل سابق ، وإلى القراء طائفة أخرى من الألفاظ التى يتوهم الكثيرون أنها عاميــة ، وهى صحيحة لا عيب فيها

فمن ألفاظ الطعام والآكال وما إلى ذلك :

النَّشا — شىء يعمل به الفالوذج

القطائف — دقيق يعجن ترياً من الميوعة ويخمر ويحشى بالفستق وما اليه ويقلى

المُرَبَّى — معروفة .

القَرَاسيا — الثمر المعروف

الزَّلابِيَةُ — حلواء معروفة

البَسيسة — دقيق يُلتُّ بالسمن ويؤكل ولا يطبخ ، أو يطبخ

الكُرُنب ، أو الكَرَنَبُ ، والقُنَّبيط (تلفظه العامة قرنبيط) والخس ، واللفت ، والفجل ، والكراث ، والاسفاناخ ، والفول ، والحمص ، والباذنجان ، والعدس ، والثوم ، والرِّجلة ، والشبث ، والجرجير ، والسلق ، واللوبيــا ، والقلقاس ، والكرفس ، والقرفة ، والدّارصينى ، والقرنفل ، والكراويا — وهى جميعاً معروفة

قرَّصت العجين — بسطته بالتقطيع لتجعله أرغفة

الفرن — ما ينضج فيه الخبز

الطابون — من طين النار دفنها لئلا تُطفأ ، والوضع الطابون والعامة فى مصر يؤنثون اللفظ

الرُّقاق والكعك — معروفان

قَشَشْتُ الشيء — أخذته بأجمعه

التمطُّق بالشفتين — أن تحدث صوتاً وأنت تضمهما وتفتحهما

الكوز — والجمع كيزان وأكواز

المسعور — الحريص على الأكل

الطبق — ما يؤكل عليه

الرائب — اللبن إذا خثر

الرُّوبة — الخميرة فى اللبن

مَخَضُ اللبن — أخذك زبده

تجبَّن اللبن — صار كالجبن

الحالوم — الجبن الطرى

العُلبة — معروفة

زهمت يدك — صارت فيها رائحة الشحم ، والزُّهومة ، ريح اللحم السمين إذا أخذ يفسد

ومن ألفاظ البيت التى يستعملها العوام وهى صحيحة :

الدهليز — ما بين الباب والغرف

الرُّواق — يستعمل فى مصر للحجرة الكبيرة الواسعة

الصحن — وسط الدار

الرف — معروف

الكنيف — المرحاض

الصفة فى البناء — معروفة

الدكة — للقعود

الاسطبل – للدواب
الحارة والشارع والزُّقاق – معروفة
المصطبة – مكان للجلوس
المِدْماك – الصف من اللَّبِن في البناء
الطيَّان – الرجل الذي يصنع الطين للبناء
البلاط – الحجارة تفرش بها الأرض
العَتَلة – حديدة طويلة تقلع بها الحجارة
الزيج، والامام، خيط البناء
الرَّزَّة – حديدة يدخل فيها القفل
الخوخة – الكوة في الجدار أو في الباب
العريش – الظلة من شجر أو نحوه
الحصير – نسيج من القش معروف
الشَّيخ – بساط خشن معروف
المِخدة – الوسادة للرأس
المسند – الوسادة يُستند عليها
الخُرْجُ – جوالق ذو ناحيتين
الدُّرج – ما تحفظ فيه الأشياء الصغيرة
القنينة – إناء للشرب
الشباك – النافذة

***

إن اتخاذ هذه الألفاظ وما إليها، في مواضعها، يمنع التكلف الذي يجعل اللغة غريبة، وينفي ما تقرر في النفوس من أن لنا لغتين: واحدة نكتب بها، والأخرى نستعملها في الكلام

ويأخذ الطريق على الذين يدعون الى اتخاذ العامية لغة الكتابة، فان كل حجتهم هي أن العامية هي لغة السواد، وأن العربية أجنبية، ومتى ثبت أنهما شيء واحد، فقد سقطت الحجة

وليس من همى الاستقصاء، وما أريد إلا أن أنبه الى أن درس العامية واجب، وأن من العبث والتكلف الذي لا موجب له، أن نبحث عن ألفاظ وهي على ألسنتنا كما تكلمنا

ابراهيم عبد القادر المازني

تنبيه: وقع خطأ مطبعي في المقال السابق، فظهر كلة شل (وهي باللام) ومعناها خاط خياطة خفيفة، بالكاف فوجب التنبيه

النقـــد والمثال

للأستاذ أحمد الزين

تحدثت إليك في فصل سابق عن البيان اللفظي ومنزلته من الشعر، وأنه من أهم ما تتفاوت به الشعراء في مراتبهم، وتتمايز به درجاتهم، كما تحدثت عن الاختلاف بين لغة الشعر والكتابة والخطابة؛ واليوم أتحدث إليك في المعنى، فان المعنى هو قِوام الشعر، والعنصر الأول من عناصره، بل هو الشعر نفسه؛ وما حرصنا على تحسين الألفاظ وتجميل العبارات إلا ليظهر المعنى في صورة فاتنة تجعل القلوب أشد قبولاً له، وأقوى تأثراً به، وينطبع في أذهان الحفَظَة والوعاة، ويخلد على ألسنة الرواة؛ فلا ينال منه تعاقب الزمن، ولا تمحوه عوادي المحن؛ وتلك هي ميزة الشعر التي اختص بها من دون النثر، وإلا فقد كان النثر كافياً في تأدية المعنى وإفهام الغرض؛ وكما أن الأصوات الغنائية المعروفة الآن بالأدوار لا تعمل عملها في النفس إذا تليت على الأسماع كما تتلى الرسائل، وألقيت كما تُلقى الخطب، بل لابد من جريانها على قواعد الفن الموسيقي الجميل، وأدائها بالصوت العذب الرخيم حتى تبلغ في النفوس أثرها، وتفعل في المشاعر فعلها، فكذلك المعاني الشعرية لا بد في تأديتها من حُسْن الألفاظ، وعذوبة العبارات، وجزالة التراكيب، وقوة النَّسْج واطّراده، وما إلى ذلك مما سأذكره بعد في هذه الفصول، ليكون أثرها في القلوب أبلغ، وعملها في النزعات والميول أقوى؛ وكما أن سوءَ الطبع والتحريف، وكثرة الخطأ والتصحيف، وتعمية الخط، ورداءة الورق في بعض الكتب قد تذهب بما حوت صفحاتها من علم غزير وفضل كثير وبحوث دقيقة وأفكار عميقة، فلا غرابة أن يذهب سوء التأدية وضعف النسج والابهام في العبارات، والاسفاف في الألفاظ، بما يريده الشاعر من أغراض سامية ومعان جليلة؛ بل إن الصلة بين المعاني والألفاظ اشدّ وأقوى من الصلة بين الألفاظ والكتابة، إذ المعاني لا تؤدَّى بدون العبارات، وقد تؤدَّى الألفاظ مشافهة بدون كتابة. وقد غفل أو تغافل أو عجز عن ذلك بعض الشعراء في عصرنا، فاعتبروا المعاني كل شيء في الشعر، على ما في معانيهم من الضعف والمسخ

وسوء تناولهم إياها ، وقصور شاعريتهم عن تحويل المعنى الأصلي إلى معنى شعري ، وقلة خبرتهم بكيفية وصفها في الشعر ، وما إلى ذلك مما سأحدثك به عند الكلام على المعاني ؛ ولم يعنوا بالألفاظ أقل عناية ، موهمين أنفسهم وغيرهم من قصار النظر أن بيان الألفاظ ، وإشراق العبارات ، ومتانة النسج ، والبلاغة في الأسلوب ، وإجراء الشعر على سنن الشعر العربي ، أنواع من التزيين والتحلية والزخرف الذي مضى عصره ، وانقضى زمنه ، وذهب به العصر الجديد ، ومحته آية التجديد ؛ فملأوا الصحف والدواوين بشعر لا صلة بينه وبين الشعر العربي إلا الصلة العروضية في الوزن والقافية ؛ على أن بعضهم قد يتركهما مبالغة في التجديد ، محتجاً بأن ذلك نوع من التقييد ؛ على أنهم بعد أن أطلقوا الألسنة والقرائح من قيودها المزعومة ، لم يأتوا بالمعجب المطرب في معنى ولا لفظ ، ولم يبتكروا غريباً في تشبيه ولا خيال ، ولم يخترعوا جديداً في تصوير عاطفة ولا إحساس ؛ وإنك لتقرأ ديوان أحدهم من ألفه إلى يائه فلا تظفر منه ببيت يعلق بذهنك فتعيده ، ولا معنى يملك لبك فتستجيده ؛ وسبب ذلك يرجع إلى أنهم لم يقرأوا من الأدب العربي القديم ولا من علوم العربية ما يقومون به ألسنتهم ، ولم يتعلموا من فحول الشعراء المتقدمين ما يهذبون به معانيهم قبل وضعها في قالبها الشعري ، ويميزون به بين المعنى الشعري وغيره من معاني الكتابة والخطابة ، فانه مما لا ينازع فيه ذو ذوق فني دقيق أن المعنى الواحد تختلف صوره باختلاف تأديته في هذه الصناعات الثلاث ، وأن الشعر والكتابة والخطابة كما تختلف في ألفاظها وعباراتها تختلف في تصوير معانيها وأغراضها ، فان الخطيب لا يعمد في تصوير معانيه إلى خلودها على مر العصور ، وبقائها محفوظة في الصدور ، ولكن يقصد إلى نوع من الاثارة الوقتية يلهب بها حمية الجمهور إلى ما يريده من الأمور ؛ فاذا فترت همم الجمهور بعد ذلك الموقف لجأ إلى خطبة أخرى وهكذا ، ففن الخطيب فن وقتي لا فن خالد ، ولذلك لم ينقل الرواة الينا من خطب الأولين ومواقفهم في الخاصات والمصالحات وفي حضرة الخلفاء والأمراء ما يوازي كله ديواناً واحداً من دواوين الشعراء ، ولا مجموعة واحدة من رسائل الكتاب . أما الشاعر والكاتب فانهما يقصدان في تصوير معانيهما إلى خلودها وبقائها ؛ والفرق بينهما أن قصد الشاعر إلى تخليد أثره أكثر ، وحرصه على بقاء فنه أقوى ، فهو يضع في معانيه وألفاظه من جمال التصوير وروعة الفن ما يرى أنه كفيل ببقاء شعره وحياته على الزمن ولذلك كانت رواية الشعر أشيع ، وما نقل إلينا منه أكثر

وأيضاً فان الكاتب والخطيب يبالغان في تقرير المعنى وتأكيده في الأذهان باكثار الأمثلة وذكر الأشباه والنظائر إلى حد الاستقصاء أحياناً ؛ أما الشاعر فيقتصر من ذلك على قدر الحاجة ، فان الشعر ضيق لا يحتمل ذلك الطول ، بل يراه في بعض الأحيان نوعاً من الفضول . وثم فرق ثالث هو أن الخطيب يراعي في تصوير معانيه أن تكون سطحية بسيطة ، قريبة النور ، سريعة إلى الفهم ، فانه يوجهها إلى عقلية بسيطة هي عقلية الجماعة ؛ وكما أن هذه العقلية سريعة القياد ، فهي سريعة الجموح ، لا يؤمن نفارها ؛ وما أقرب انصرافها وإعراضها عن الخطيب إذا رأت في معانيه ما يكلفها مشقة الفهم وعناء الفكر ، ولذلك يعتمد الخطيب في خطبته على الصوت والالقاء وملابسات الموقف أكثر من اعتماده على غرابة المعنى وعمق الفكر

أما الكاتب والشاعر فيغربان في معانيهما ما شاءا ، ويتعمقان في ذلك ما أرادا ؛ تلك هي بعض الفروق بين المعاني في الصناعات الثلاث ؛ فاذا رأيت في إحدى هذه الصناعات بعض الميزات الغريبة عنها فهي مستعارة من غيرها لا أصلية فيها ؛ ولا غرابة في أن ترى الشاعر خطيباً أو كاتباً في قصيدته ، ولا أن ترى الكاتب شاعراً أو خطيباً في رسالته ، ولا أن ترى الخطيب شاعراً أو كاتباً في خطبته ؛ وإنك إذا قرأت شعر ابن الرومي وجدت فيه كثيراً من تقسيمات الكتاب وتعليلاتهم والاستدلالات المنطقية ، والاحتجاجات الملزمة للخصم ، كقوله :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وإنها ... لأوسع مما كان فيه وأرغد

وقوله يخاطب صديقاً :

قد حلفنا على الوفاء جميعاً ... واجتهدنا وذاك جهد المطيق
فبأي الأحكام توجب تصديـ ... ـقك حتما ولا ترى تصديقي
وبأي الأحكام قولك برها ... ن وقولي من خلبات البروق
ليس في العدل أن تحكم في تو ... لك فارجع إلى سواء الطريق
ما من الدعويين إن صفت دعوى ... غير محتاجة إلى تحقيق
ولنا إن رددت ما ندعيه ... رد ما تدعيه ، ضيقاً بضيق

٥ — الشعر *

في صدر الإسلام وعهد بني أمية

بقلم أحمد حسن الزيات

شعر الشيعة

ورث عليّ بن أبي طالب بحكم مولده ومَرباه مناقب النبوة، ومواهب الرسالة، وبلاغة الوحي، وصراحة المؤمن، وبسالة المجاهد، فأجمع الناس على إجلاله وكادوا يطبقون على حبه؛ حتى من كتب عنه من الأوربيين قد شاركوا المسلمين في هذه العاطفة؛ فقد قال فيه الكاتب الانكليزي كارليل: «أما ذلك الفتى عليّ فلا يسعك إلا أن تحبه؛ ركّب الله في طبعه النبل منذ الحداثة، وتجلى في خلاله الكرم طوال عمره، ثم طبعه على العمل ونفاذ الهمة وصراحة البأس، وآتاه سر الفروسية وجرأة الليث، وكل ذلك في رقة قلب وصدق إيمان وكرم فعال تليق بالفروسية المسيحية» ثم سار عليّ في خصومته وخلافته وسياسته على ضوء هذه الأخلاق، فما قارف الأثرة، ولا حاول الفرقة، ولا راقب الفرصة، ولا أثار العصبية، ولا استخدم المال؛ وإنما أخلص النية للعمرين، ومحض النصيحة لعثمان، وأعذر بالحجة لمعاوية؛ ولكن دنيا الفتوح كانت قد أخذت على عهده تتجاهل دين البساطة والزهد، ولم تعُد السياسة الدينية وحدها قادرة على كبح النفوس المفتونة بمال معاوية في الشام، وثراء الرافدين في العراق؛ فانتشر أمره، وانصدعت خلافته، ثم قُتل مظلوماً في محرابه؛ فكان محياه ومماته تاريخاً دامياً للفضيلة المعذبة والنفس المطمئنة الشهيدة. ثم ورّث بنيه وأهليه ذلك العزم الثائر وهذا الجد العاثر، فدب الموت للحسن سراً في كأس مذعوفة، وقتل الحسين قِتْلة لا يزال يرعد من هولها الدهر

وتلاحقت الفواجع الأموية فصرع زيد وقتل يحيى، واقتنَصت المنايا الرواصد في اختلاج بني عليّ، وهم يقابلون هول الغوائل الظاهرة والباطنة بالشجاعة والصبر والاحتساب، حتى أسفرت حول وجوههم طفاوة من التنزيه والتقديس، وتخللت محبتهم قلوب المسلمين، ولا سيما الشيعة. فأندم هؤلاء على خذلانهم إياهم، وألهمهم لما رأوا من اضطهادهم وأذاهم، رفعا في نفوسهم ذلك الحب حتى أشرفا به على مقام العبادة؛ ثم ظهر ذلك الحب في صور من العقائد: فقالوا بالوصية، وجعلوا الامامة من أصول الدين، وحصروها في عليّ وبنيه، وطعنوا في إمامة الشيخين. ولم يتهيأ لهم السلطان، ولم تسعفهم القدرة، فاعتمدوا على استمالة القلوب وترقيقها بالبكاء والندب، وتصوير الآلام، وإعلان الفضائل، فاصطبغ شعرهم بالحزن العميق، والرثاء الناشج، والمدح المبتهل، والعصبية الحاقدة. على أن هذه الخصائص لم تكن واضحة في شعر أوائل الشيعة وضوحها في شعر الأواخر منهم، فإن تغلغل الفكرة في أصل العقيدة، وتنكيل الحاكمين بآل البيت، واضطهاد الولاة للشيعة، إنما تدرجت قسوة وقوة مع الزمن، فضلاً عن قلة شعراء الشيعة في هذا العصر لإفساد الأمويين الضمائر بالحديد والذهب؛ فشعرهم بدأ ولاءً صادقاً، ومدحاً خالصاً، وهجاء مراً، ثم اشتد فصار مفاضلة جريئة، ومعارضة شديدة، ومناقشة فقهية، ودعاية حزبية. ولعل ذلك

* من الطبعة الجديدة لكتاب تاريخ الأدب العربي الذي صدر حديثاً

وقوله يعاتب صديقاً لم يحفظه في مغيبه وعاب شعره:

لي صاحب قد كنت آمل نفعه ... سبقت صواعقه إليّ صبيبه

إلى أن قال:

نبثت قوماً عابني سفهاؤهم ... وشهدت مجلسهم وكنت خطيبه
عابوا وعبت بغير حق منطقاً ... لو طال رميك لم تكن لتصيبه
وهب القضاء كما قضيت، ألم يكن ... في محض شعري ما يجيز ضريبه
هلا وقد ذُوِّقت دَرَّ قريحتي ... فذممت حازره حمدت حليبه
بل هبه عيباً لا يجوز، ألم يكن ... من حق خلك أن تحوط مغيبه

وديوانه مملوء بمثل هذا الشعر الذي هو أقرب إلى رسائل الكتاب منه إلى قصائد الشعراء. أما الكتاب الشعراء في نثرهم فمنهم المرحوم أحمد شوقي بك في كتابه أسواق الذهب، والزمخشري في أطواق الذهب، والقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني في رسائله الكثيرة المملوءة بها كتب الأدب

أحمد الزين

يتجلى لك فيما ذكرناه وفيما سنذكره من الأمثلة . فمن التعبير عن العاطفة القوية الساذجة قول أبي الأسود الدؤلي :

يقول الأرذلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى عليّا !
بنو عمّ النبي وأقربوه أحبُّ الناس كلهم إليّا
أحبهم لحبّ الله حتى أجئ إذا بُعثت على هويا
فإن يك حبهم رشداً أُصبْهُ ولست بمخطئ إن كان غيّا

ومن المدح والمفاضلة قول أيمن بن خزيم الأسدي :

نهارُكمُ مكابدة وصوم وليلُكمُ صلاةٌ واقتراء
أأجعلكم وأقواماً سواءً وبينكمُ وبينهم الهواء ؟
وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأرؤسهم وأعينهم سماء

ومن الهجاء قول ابن مفرغ الحميري :

ألا أبلغ معاوية بن صخر مغلغلةً من الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ وترضى أن يقال أبوك زاني ؟
فأشهد إن رحمك من زيادٍ كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها ولدت زياداً وصخر من سُمَيَّة غير داني

وقول عبد الله بن هشام السلولي في يزيد بن معاوية :

حُشينا الغيظ حتى لو شربنا دماء بني أمية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم وأنتم تصيدون الأرانب غافلينا

ومن المناقشة الجدلية قول الكميت في الخلافة :

يقولون لم يورث ولو لا تراثه لقد شركت فيه بكيلٌ وأرحبُ
ولا انتشلت عضوين منها يحابرٌ وكان لعبد القيس عضو مؤرَّب
فإن هي لم تصلح لحي سواهمُ إذن فذوو القربى أحق وأقرب
فيالك أمراً قد تشتَّت جمعُه وداراً ترى أسبابها تتقضب
تبدلت الأشرار بعد خيارها وجُدَّ بها من أمة وهي تلعب !

ويكاد الكميت بن زيد الأسدي بقصائده الهاشميات يكون الشاعر الفذ لبني هاشم ؛ فقد مدحهم واحتج لهم ودافع عنهم بلسان صادق واعتقاد خالص ونفس جريئة وقريحة سمحة . ولما أهدر هشام بن عبد الملك دمه لجأ على ما أرجح إلى التَّقيَّة في شعره على عادة الشيعة ، فقال من كلمة يمدحه فيها :

فالآن صرتُ إلى أميّــة والأمور إلى المصائر
يا ابن العقائل للعقا ئل والجحاجحة الأخاير
من عبد شمس والأكا بر من أمية فالأكابر
لكم الخلافةُ والألا ف برغم ذي حسد وواغر

ومهما يقل الكميت فإن عاطفة شعراء الشيعة ستظل كما قلنا مكظومة بالطمع والخوف حتى تنبجس في عهد بني العباس نفثات غيظ ، وحسرات حزن ، وعبرات ألم ، في شعر السيد الحميري ، ودعبل الخزاعي ، وديك الجن ، ومطيع بن إياس ، وأبي الشيص ، والعكوّك ، وأضرابهم

شعر الخوارج

وأما الخوارج — وجمهرتهم من البدو الجفاة والسذج — فقد تم أمرهم على الصلابة في الرأي ، والمكابرة في القول والاشتطاط في الحكم ، والتشدد في الدين ، والغلو في العبادة ، والقسوة في المعاملة ، والاعتماد على الحرب . شايعوا عليّا وآزروه حتى قبل التحكيم ، فقالوا له : حكّمتَ الرجال ولا حكم إلا لله ! ثم خرجوا عليه وأبوا أن يرجعوا إليه إلا إذا أقر على نفسه بالكفر ، ونقض ما عاهد معاوية عليه ، فأبى عليهم ما سألوا ، وأوقع بهم يوم النهروان ، فزاد ذلك في حنقهم عليه وخلافهم له فائتمروا به واغتالوه . واستعرضوا أعمال الخلفاء وعقائد الناس ، فخطأوا بعضاً وكفّروا بعضاً ؛ ثم ذهبوا إلى أن الخلافة تصح في غير قريش وفي غير العرب ، وأن العمل جزء من الايمان ، فحرصوا كل الحرص على أداء الشعائر واجتناب الكبائر ، ولاذوا بكور الجبال يدعون جهراً إلى مذهبهم دون موارية ولا تقية ولا هوادة ؛ فكانوا في الدين كما قال صاحبهم أبو حمزة الشاري : « أنضاء عبادة ، وأطلاح سهر ؛ قد أكلت الأرض أطرافهم » واستقلوا ذلك في جنب الله ؛ فإذا كان الجهاد ورعدت الكتيبة بصواعق الموت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ومضى الشاب منهم قُدُماً حتى اختلفت رجلاه في عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فإذا أنفذه الرمح جعل يسعى إلى قاتله ويقول : « وعجلت إليك ربِّ لترضى »

وكانوا مع هذا الورع الشديد والخشية البالغة يقسون على مخالفيهم ، فلا يرحمون ضعف المرأة ، ولا براءة الطفل ، ولا شيخوخة الهرم ، ولا وشائج الرحم ، لأنهم — كما ظنوا — باعوا أنفسهم وأموالهم لله بأن لهم الجنة ، فقطعوا أسباب الحياة ، وأماتوا عواطف الدنيا ، وقاتلوا وقُتلوا في سبيل هذا المذهب

وتلك الغاية . وهم لصراحة بداوتهم ، وشدة عصبيتهم ، وخلوص عقيدتهم ، وما تقتضيه دعوتهم من ادمان الحِجاج والمناظرة ، أسلس الناس منطقاً ، وأروعهم كلاماً ، وأمتنهم شعراً ؛ ولكن الشعر كان عندهم فى المحل الثانى من الخطابة ، لقيام أمرهم على الاقناع والجدل بآيات الله وأحاديث الرسول ، وغناء الشعر فى ذلك قليل . فاذا ما صمد الخارجى إلى الخصم ، أوهجم على الموت ، أو وقع فى الأسر ، جاشت نفسه بجنين الرجز ، أو رصين القصيد ، يضمنه وصفه للحرب ، ووله للقتال ، وزهده فى الحياة ، واستخفافه بالموت ، وشوقه إلى الشهادة ، وظمأه إلى الجنة ، فى لفظ جزل وأسلوب قوى ؛ وقلما يدور شعرهم على غير ذلك . فمن الرجز قول أم حكيم :

أحمل رأساً قد سئمت حمله وقد مللت دهنــــه وغسله
ألاَ فتى يحمل عنى ثقله !

ومن القصيد قول معاذ بن جوين يحرض قومه وهو أسير :

ألا أيها الشارون قد حان لامرئ ٍ شرى نفســه لله أن يترحلا
أقمتم بدار الخاطئين جهالة وكل امرئ ٍ منكم يصاد ليُقتلا
فشدوا على القوم العداة فانما أقامتكمُ للذبح رأياً مضللا
ألا فاقصدوا يا قوم للغاية التى إذا ذُكرت كانت أبر وأعدلا
فيا ليتنى فيكم على ظهر سابح شديدالقُصيرى دارعا غير أعزلا
فيا رُب جمع قد فللت ، وغارة شهدت ، وقِرن قدتركت مجندلا

وقول الطرماح بن حكيم :

لقد شقيتُ شقاءً لا انقطاع له إن لم أفز فوزة تنجى من النار
والنار لم ينجُ من لحيبها أحد إلا المنيبُ بقلب المخلص الشارى
أو الذى سبقت من قبل مولده له الســعادة من خلاقها البارى

وقوله :

وأمسى شهيداً ثاوياً فى عصابة يصابون فى فج من الأرض خائف
فوارس من شيبان ألف بينهم تُقى الله نزالون عند الزواحف
إذا فارقوا دنياهمو فارقوا الأذى وصاروا إلى ميعاد مافى المصاحف

وكقول قَطَرِى بن الفجاءة فى يوم دولاب :

فلم أر يوماً كان أكثر مَقْعصاً يمج دماً من فائظ وكليم
وضاربة خداً كريماً على فتى أغر نجيب الأمهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطناً له أرض دولاب ودير حميم

فلو شهــدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

وقليلاً ما يجادل الخوارج بالشعر ويقارعون بالهجاء ، لاعتمادهم فى الجدل على الخطابة ، وفى القراع على السيف . ومن هذا القليل قول بعضهم فى الجدل وقد هزم أربعون منهم ألفين لابن زياد :

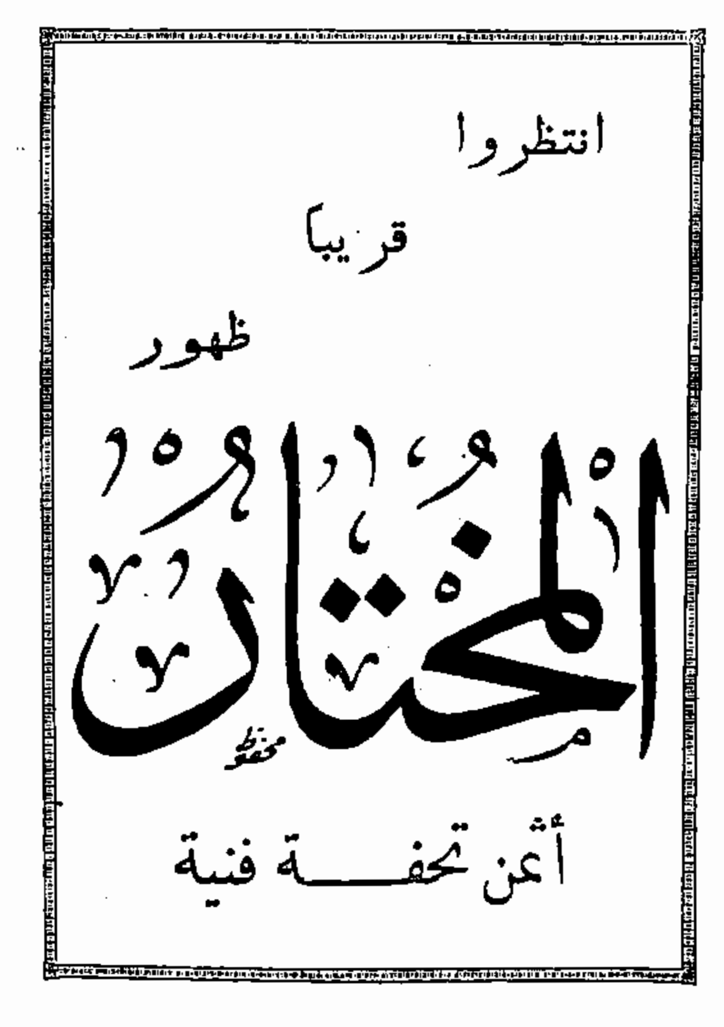
أألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلكم بآسكَ أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هى الفئة القليلة قد علمتم على الفئة الكثيرة ينصرونا

وقول عمران بن حطان فى هجاء الامام :

لله در المرادى الذى سفكت كفاه مهجة شر الخلق انسانا
أمسى عشية غشاه بضربته مما جناه من الآثام عُريانا

وما حمله على ذلك إلا أنه من القَعَدة لضعفه عن الحرب لكبر سنه فجاهد بلسانه

الزيات



من نوادر المخطوطات

أثر أدبي فــــذ !

اختراع الخراع لصلاح الدين الصفدي

للأستاذ علي الطنطاوي

أطلعني على هذه الرسالة صديقي الشاعر الأديب السيد أحمد عبيد ، أحد أصحاب المكتبة العربية العامرة بدمشق الشام ، فرأيتها رسالة عجيبة ، وتحفة أدبيـة غريبة ، ورأيت فيها فناً من فنون الأدب العربي لا يعرفه الناس ودليلا على بعد الغاية التي بلغها أدبنا ، ورأيت فيها جمالا ولذة ، ووجدت فيها نفعاً وفائدة ، فأحببت أن أتحف بها قراء الرسالة ، فتكون لهم أفكوهة وللأدب خدمة ، بتسجيل هذا الأثر الجليل من آثاره الضائعة في الرسالة (السجل الأدبي الخالد)

صلاح الدين ، أبو الصفا ، خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى سنة ٧٦٤) أحد أئمة القلم والأدب في عصره ، « مهر في فنّ الأدب ، وكتب الخط المليح ، وقال النظم الرائق ، وألف المؤلفات الفائقة ، وباشر كتابة الانشاء بمصر ودمشق ، ثم ولي كتابة السرّ بحلب ، ثم وكالة بيت المال بالشام ، وتصدّى للافادة بالجامع الأموي ، وحدّث بدمشق وحلب وغيرها . ذكره شيخه الذهبي في المعجم المختص ، فقال : الامام العالم الأديب البليغ الأكمل ، طلب العلم وشارك في الفضائل ، وساد في علم الرسائل ، وقرأ الحديث وكتب المنسوب وجمع وصنف والله يمدّه بتوفيقه ، سمع مني وسمعت منه ، وله تآليف وكتب وبلاغة » (١)

قال شيخ الاسلام التاج السبكي (٢) :

(خليل بن أيبك) الشيخ صلاح الدين الصفدي الامام الأديب الناظم الناثر أديب العصر : ولد سنة ٦٩٦ وقرأ يسيراً من الفقه والأصلين ، وبرع في الأدب نظماً ونثراً وكتابة وجمعاً ، وعني بالحديث ، ولازم الحافظ فتح الدين بن سيد الناس وبه تمهر في الأدب ، وصنف الكثير في التاريخ والأدب . قال لي : إنه كتب أزيد من ستمائة مجلد تصنيفاً

(١) شذرات الذهب (٦ — ٢٠١)

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٦ — ٩٤)

ومن مؤلفاته الوافي بالوفيات ويكاد يكون أجمع كتب التراجم (١) . ومن مؤلفاته المطبوعة نكث الهميان في نكت العميان ، والغيث المنسجم في شرح لامية العجم ، وجنان الجناس في الأدب ، ودمعة الباكي ، وتمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون (وهي غير الرسالة الهزلية التي شرحها ابن نباته) ووصف الهلال وغيرها (٢)

أما هذه الرسالة التي نتكلم عنها ، فلم أجد من ذكر أمثاله ، ولكني لا أشك في أنها إن لم تكن له ، فلن تكون إلا لأديب كبير ، وعالم متمكن ، ولغويّ محقق ، وهي في شرح بيتين من الشعر . . . شرحهما المؤلف شرحاً مستفيضاً ، حلاه بالنكات اللغوية والمسائل النحوية ، والطرائف الأدبية ، والآراء الفلسفية ، وزينه بالحكم الباهرة ، والأمثال السائرة ، واستشهد على كل مسئلة من مسائله بأقوال العرب . . . ولكنه — وتلك ميزة هذا الكتاب — تعمّد ألاّ يأتي إلاّ بما هو خطأ محرّف عن أصله ، معدول به عن جادة الصواب ، مُمال به عن سبيل الحق : فلا بيت ينسب إلى صاحبه ، ولا كتاب يعزى إلى مؤلفه ، ولا مسألة تورد على وجهها ، ولا بلدة توضع في موضعها ؛ وقد أورد ذلك كله بحذق ومهارة ، ولباقة وظرف ، حتى أن الرجل ليتلوه فيحسّ لحلاوة ما يقرأ أنه لا يقرأ إلا حقاً وصدقاً ، وما فيه من الحق والصدق شيء

ولا يقدر على الخطأ الذي لا صواب فيه ، إلا من يقدر على الصواب لا خطأ معه . يحتاج كلاهما إلى علم بمواقع الخطأ ووجوه الصواب ، وانتباه وفطنة ، واطلاع ومعرفة ، كيلا يخلط خطأ بصواب ، أو صواباً بخطأ . والرسالة على ما فيها من الهزل والتحريف ، تدلّ على طول باع مؤلفها في علوم اللسان ، وعلوم العقل ، ووقوفه على آراء الفلاسفة ، وآثار الأدباء ، ومباحث العلماء ، ولا تخلو من فوائد

* * *

وهي ناقصة من وسطها وآخرها ، والموجود منها (٥٣) صفحة ، في كل صفحة (١١) سطراً ، مكتوبة بخط قريب من

(١) راجعت بعض التراجم في بعض الأجزاء الفوتوغرافية ، في دار الكتب المصرية العامرة فوجدته قد جمع فأوعى ، ولم يدع بعده مجالا لقائل

(٢) عن الأعلام للزركلي

النسخى، مضبوط قليل الأخطاء، يدل على علم ناسخه. وليس فى الرسالة تاريخ، ولكن ورقها من الورق الذى بطل استعماله من ثلاثة قرون، فكأنها مكتوبة فى القرن التاسع أو العاشر على الصفحة الأولى منها:

كتاب اختراع الخراع
تأليف المولى الأجل الفاضل
العلامة فريد دهره ووحيد
عصره صلاح الدين أبى الصفا
خليل بن أيبك الصفدى
رحمه الله تعالى

للشيخ عبد الجواد:

بدا لابن أيبك فى عصره ... كساد العلوم وخبث الطباع
وأن الأماثل قد أصبحوا ... هبله يطار بهم فى الشعاع
وأن كثيراً كالأنُهم ... دعاوى أحاديثها فى انقطاع
فجرّ بأمثاله رأيهم ... وأتحفهم باختراع الخراع

وعلى الرسالة تعليقات لطيفة، وتنبيهات شريفة

***

وأول الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو خرافة، الهدّ القشيرى، ساعه الله تعالى: حضرت فى بعض أوطان أوطارى، وأوكار أفكارى، مع جماعة الخ..

فابتدر أحد ظرفائهم فأنشدنا بيتين الخ... وهما

لو كنت بكتوت امرأة جارية الفضل
وكان أكل الشعير فى البرد مَلْبَسكو
لابدّ من الطلوع إلى بيتك فى الليل وظلام النهار متضحر أ

فأخذ الجماعة فى الاعجاب، بما اتفق فيهما من اختلال النظم، واختلال القافية، وعدم الاعراب، وخلاف أوضاع اللغة، وتناقض المعنى وفساده، والتخبيط فى التاريخ، وقضوا نهارهم بتعاطى كئوس العجب من ذلك

فقال أحدهم: الا إنهما محتاجان إلى شرح ينخرط معهما فى سلك التقريب، ويبرز فى مظهرها العجيب!

فالتزم بعض من حضر الخ... وصبّحتهم وقد أعمل فى الشرح حيلته... فقال:

حدّثنى نصير الدين أبو الهزايم ثابت [١]، قال حدثنى من كتابه أصيل الدين أبو المفاخر لقيط القطربى، وقيل القرطبى، قال أخبرنى اجازة أسد الدين أبو ثور صقر القَنَحكردى من أهل دمشق، قال: إن افتخار الدين سبكتكين القُسَّهتانى صاحب زهر الآداب، قال: عارض هذين البيتين الأفوه الأودى أبو على، على ما ذكره الحريرى فى الخطب النُباتية [٢] فى قوله:

وإذا نظرت إلى الوجود بعينكم ... فجميع ما فى الكائنات مليح [٣]

وهذا من قصيدته الطردية فى التشبيهات، وأولها:

وأنت ياغصن النقا ... ما أنت من ذاك النمط [٤]

وزعم مؤيد الدولة أبو خاذل أيدكين الجواليق، صاحب المديح المأمونى، فى كتاب الصادح والباغم، فى باب المراثى أنهما من باب قول الثعالبى:

لو كنت شاهين جارية الفـ ... ـضل وكان الحريم منزلك
لابدّ الخ...

وليس بشىء والصحيح الأول [٥]

قال الشارح عفا الله عنه: نبدأ أولاً بما فى البيتين من اللغة وثانياً بما فيهما من الاعراب، وثالثاً بما فيهما من التاريخ وتقدير المعنى، ورابعاً بما فيهما من البديع، وخامساً بالكلام على ما يتعلق بعروضهما، وسادسا بما يتعلق بعلم القافية

القول فى اللغة:

قوله بكتوت: هو علم مركب من اللغة العربية والتركية، فبك بالعربى وتوت بالتركى، ومعناها أمير توت مثل دمرطاس وصروان وقراحاً وما أشبه ذلك، ومن قال إن معنى ذلك بالعربية أمير النيروز فلا يتأتى له ذلك إلا إن كان النيروز فى شهر توت على ما ذكره السخاوى فى سمع الكيان [٦]

قوله امرأة: المرأة مشتقة من المرآة، وهى التى يرى الانسان فيها وجهه إذا كانت فى جيبه أعنى السراويل، وكقول الأخطل:

(١) تأمل فى التناقض بين نصره الدين وكونه أبا الهزايم
(٢) صاحب زهر الآداب أبو اسحاق الحصرى، والأفوه الأودى من شعراء العرب، وأبو على القالى صاحب الأمالى، والخطب لابن نباته..
(٣) من شعر أرباب الوحدة... (٤) من شعر البهاء زهير
(٥) الصادح والباغم لابن الهبارية، وليس فيه مراث، والثعالبى هو صاحب يتيمة الدهر وغيرها، والبيتان من شعر ابن الحجاج
(٦) السخاوى معروف، وسمع الكيان كتاب طرض فيه محمد بن زكريا الرازى الطبيب كتاب أرسطو الطبيعى.

ما أخــذ المرآة فى كفّه   ينظر فيها للجمال المصون
إلا رأى الشمس وبدر الدجى   ووجهه فى فلك يسبحون (١)

قوله جارية فيها قولان ، منهم من قال : هى الساقية لأنها تجرى من أسفل إلى فوق ، واستشهد بقول الحطيئة :

نديمتى جارية ســاقية   ونزهتى ســاقية جاريه
جارية أعينهــا جنّة   وجنّة أعينها جاريه (٢)

ومنهم من قال هى فى مقابلة المملوك ، واستشهد بقول السكوك :

أيا بديع الجمال رقّ لمن   ستر هواه عليك مهتوك
دموعه فى هواك جارية   وقلبه فى يديك مملوك (٣)

وهذا باطل ببديهة الانسان

قوله الفضل : هو كل شىء ناقص ، ومنه سمّى عبد الرحيم كاتب مروان بالفاضل لأنه كان قصيراً (٤) ، وفى أمثال بزرجمهر لأمر ما جدع قصير أنفه (٥) . قال التلعفرى :

ضعاف الطير أطولها جسوماً   ولم تطل البزاة ولا الصقور (٦)

قوله كان : معلوم أنها للاستقبال وسيأتى الكلام عليها فى الاعراب

قوله أكل : هو الحالة المؤدية إلى الجوع لمن هو شبعان الخ ..

قوله الشعير : معروف أنه من فواكه الآدميين ؛ ولا يوجد إلا فى جزرات الهند بالمغرب فى الليل دون النهار صيفاً . قال ابن الساعاتى :

جارية لم تأكل المرققا   ولم تذق من البقول الفستقا

ومن استشهد فى هذا بقول ابن الفارض يصف رجلاً من الأكراد كوسجاً :

إن تطل لحية عليك وتعرض   فالمخالى معروفة للحمــير
علق الله فى عذاريك مخلا   ة ولكنها بغير شعير (٧)

(١) الأخطل معروف ، والبيتان لابن سناء الملك
(٢) الحطيئة معروف ، والشعر لعرف الدين شيخ الشيوخ
(٣) السكوك هو على بن جبلة من شعراء العصر العباسى . والبيتان كأنهما لمحيى الدين بن عبد الظاهر . .
(٤) عبد الرحيم هو القاضى الفاضل كاتب السلطان صلاح الدين وكاتب مروان إنما هو عبد الحميد الكاتب
(٥) بزرجمهر حكيم الفرس والمثل من أمثال قصة الزباء المشهورة . .
(٦) التلعفرى شهاب الدين متأخر ، والشعر للعباس بن مرداس
(٧) ابن الساعاتى بهاء الدين بن رستم من شعراء صلاح الدين ، والبيت من شواهد كتاب سيبويه ، وابن الفارض معروف ، والشعر لابن الرومى . .

فليس من التحقيق فى شىء والمبنى على الأول

قوله البرد : هذا معروف أيضاً عند الأساكفة فى الشام وأظنه نوعاً من الأطلس الحريرى . قال امرؤ القيس فى معلقته الطائيــة :

قالوا حريراً كان وجه حبيبه   وترى مسوح الشعر فوق الأطلس
جهلوا معانى حسنه مع علمهم   أن الحرير كاله بالقندس (١)

ومن قال إنه نوع من المدينى وأنشد الخ .. فليس بشىء لأن المدينى نوع الخ . . والأطلس إنما هو فلك القمر خلافاً لأبى تمام فانه فى الخطب النباتية زعم أنه الفلك الذى له الحركة القمرية الخ . . وهذا رأى المشائين . والرواقيون خالفوهم والعمدة فى اللغة على أقوالهم (٢) (إلى أن قال) :

لابدّ : البد معلوم ، وهو صنم يعبده اليهود فى النوبة . قال بعض شعراء الجاهلية :

من قال لا بدّ منه   فنــه لى ألف بدّ

وقال النابغة :

دعوه يبــلى فؤادى   لا خفّف الله عنــه
كم لت قلبى فيــه   فقال : لا بدّ منه (٣)

(البقية فى العدد القادم)   على الطنطاوى

(١) البيتان من شعر المتأخرين
(٢) أبو تمام معروف ، والخطب النباتية تقدم ذكرها ، والفلك الذى له الحركة القمرية محدد الجهات ، وهو الذى يدور من الشرق إلى الغرب فى كل يوم وليلة دورة ، والمشاؤون والرواقيون أصحاب المدرستين المعروفتين فى الفلسفة اليونانية ؛ ولا شأن لهم باللغة . .
(٣) من شعر المتأخرين



من تراثنا الأدبي

٢ ـ أبو العينـــاء

بقلم محمود محمود خليل

تحدثت في مقالي السابق عن إسراف أبي العيناء في هجاء الناس، حتى لم يسلم منه أحد من عظيم أو سوقة، وقلت إن هناك عوامل أثرت في حياته، حتى جعلته سليط اللسان وقد آن أن أتحدث عن تلك العوامل:

(١) الوراثة وقد تعرضت لها فيما سبق بحديث مستفيض، فلا حاجة بي الآن إلى تكرار القول فيها

(٢) نشأته فقيراً، وطالما كان الفقر وهو مثير الأضغان والأحزان منبعاً للنبوغ والذكاء، ونجد فقره هذا اضطره فيما بعد إلى الارتحال من منبت نشأته وهو البصرة إلى بغداد طلباً لعطايا الخلفاء والوزراء، وكل أحاديثه مع الكبراء تنبئنا بفقره المدقع، فقد دخل مرة على عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير فضمه إليه، فقال له أنا إلى ضم الكفاية أحوج مني إلى ضم اليدين. وقال له مرة أنا معك مغبوط الظاهر موجود الباطن كما قال أبو الطيب المتنبي:

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها إني بما أنا باك منه محسود

وقال لعبيد الله بن يحيى: مسّنا وأهلنا الضر، وبضاعتنا الحمد والشكر، وأنت لا يخيب عنده حر

وسواء كان هذا الكلام منه من أساليب الاستجداء الذي اشتهر به أو من شدة الحاجة كما يقول، فقد عاش أبو العيناء في حياته كلها سواء منها المدة التي قضاها في البصرة أو المدة التي عاشها في بغداد في ضنك من العيش وشدة، وتلك حياة كثير من الأدباء والكتاب في عصره، حتى كان الانتساب إلى الأدب طالع سوء على محترفيه، اللهم إلا نفراً قليلاً من الأدباء الذين أتاح لهم القدر أن يصلوا إلى مرتبة الوزارة أو القضاء، وغفلت عنهم عين الزمان كما يقولون، كالفضل بن سهل وأخيه الحسن والفضل بن الربيع وابن الزيات ويحيى بن أكثم وأحمد ابن أبي دؤاد وغيرهم، وما عدا هؤلاء فكانت حياتهم تتوقف على العطايا التي ينفحهم بها أرباب المناصب في الدولة؛ وكثيراً ما كانت تضيق أمامهم سبل العيش، وتضطرهم الفاقة إلى الاستكانة والذلة، ولا سيما إذا راعينا رجلاً كأبي العيناء وهو مكفوف البصر، رثينا لحاله التي كان فيها، وانتحلنا له عذراً في استطالته بلسانه على الكبراء، فإنه لا يملك غيره، وهو سيفه الوحيد الذي كان يناضل به في حياته عن عيش الكفاف الذي كان يبتغيه في دنياه كما يقول ذلك لعبيد الله بن سليمان

(٣) وثالث العوامل التي غيرت مجرى حياته فقد بصره، ولم يحدثنا الرواة أحصل له ذلك الحادث في حياته البصرية أم في حياته البغدادية، وإني أرجح أن ذلك كان في حياته البصرية قبل أن ينتقل إلى بغداد، فإن أحاديثه جميعها التي نقلت عنه وهو ببغداد تنبئنا أنه كان أعمى يقوده غلامه

ويظهر أن هذا الحادث قد أثر فيه تأثيراً كبيراً جعله ساخطاً على الحياة، يتناول الناس بقوارص الكلم. قال له المتوكل: لا تكثر الوقيعة في الناس، قال: إن لي في بصري لشغلاً عن الوقيعة فيهم، قال ذلك أشد لحنقك في أهل العافية. فانظر إلى حيفه في أهل العافية الذي يذكره له المتوكل، أما كان هذا أثراً من آثار فقد بصره؟ وشكا مرة إلى صديق له سوء الحال وفقد البصر، فقال له اشكر فإن الله قد رزقك الإسلام والعافية. قال: أجل ولكن بينهما جوعاً يقلق الكبد، ويفقد الرشد

لم يتخذ أبو العيناء سخطه على الحياة مذهباً فلسفياً له كما اتخذه شاعر المعرة من بعده، ولم يؤدّ به هذا السخط إلى الزهد والتقشف كما فعل ذلك أبو العلاء، وإنما كان سخطه مقصوراً على حزنه العميق الذي خالج فؤاده لفقد بصره

صفاته وأدوار حياته:

إذاً فقد اجتمعت عوامل ثلاثة أثرت في حياته: الوراثة والفقر وفقد البصر، حتى جعلته سليط اللسان حاضر البديهة متوقد

الذكاء ؛ ولقد تزود فى حياته البصرية من آثار الوسط الذى كان يعيش فيه بما يصلح لمجالسَ الملوك والأمراء ومنادمتهم بأحاديث وطرف ونوادر ، ثم رحل إلى بغداد بعد أن ضاقت به سبل العيش فى البصرة ؛ ولقد ذمها للمتوكل حينما سأله عنها فقال : من أين أنت ؟ قال من البصرة . قال له : فما تقول فيها ؟ قال : ماؤها أجاج ، وحرها عذاب ، وتطيب فى الوقت الذى تطيب فيه جهنم

تزود بتلك الرواية الواسعة واشتهر مع هذا بالجواب المسكت والمراسلات العجيبة والجواب السريع والطبع الفكه والحجة الداحضة ، والبديهة المتوقدة . فكانت تلك المظاهر معينة له على الحياة التى أقدم عليها ببغداد . فمن ذلك أن بعض الرؤساء قال له : يا أبا العيناء ، لومت لرقص الناس طرباً وسروراً ! فقال بديهةً :

أردتَ مذمتى فأجدت مدحى ... بحمد الله ذلك لا بحمدك

فلاتك وانقـا أبداً بمدح ... فقد يأتى القضاء بغير عمدك

ثم قال : أجل . الناس قد ذهبوا فلو رآنى الموتى لطربوا لدخول مثلى عليهم ، وحلول عقلى لديهم ، ووصول فضلى إليهم ، فما زال الموتى يغبطونكم ويرحمونى بكم . وخاصم أبو العيناء يوماً علوياً فقال له العلوى : تخاصمنى وأنت تقول كل يوم : اللهم صل على محمد وآل محمد ! قال لكنى أقول الطيبين الطاهرين ولست منهم . ووقف عليه يوماً رجل من العامة فلما أحس به قال من هذا ؟ قال رجل من بنى آدم ، فقال مرحباً بك ! أطال الله بقاءك ، ما كنت أظن هذا النسل إلا قد انقطع . ولقيه بعض أصحابه فى السحر فجعل يتعجب من بكوره ، فقال له : أراك تشركنى فى الفعل وتفردنى فى التعجب ! وقال له المتوكل : إبراهيم بن نوح النصرانى واجد عليك . فقال : ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . قال إن جماعة من الكتاب يلومونك . فقال : —

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى ... فلا زال غضبانا على لئامها

وغير هذه الأحاديث كثير تستطيع أن تقرأها فى كتب الأدب . وتلك البديهة الوقادة والأجوبة المسكتة هى التى جعلت الحصرى صاحب زهر الآداب يقول : كان أبو العيناء أحدَّ الناس خاطراً وأحضرهم نادرة ، وأسرعهم جواباً ، وأبلغهم خطاباً .

ولقد كان أبو العيناء يجالس فى حياته البغدادية الخلفاء والكبراء فيطرفهم بأحاديثه وفكاهاته ، فكان سلوة لهم فى مجالسهم وزينة فى محاضرهم على ما فيه من حدة اللسان

انتقل أبو العيناء إذاً من البصرة إلى بغداد بعد أن تمت له الثقافة التى أرادها ، والبلاغة العكاظية التى امتاز بها ، وتلك حال كان يشترك معه فيها كثير من أدباء عصره ، إذ كانت بغداد مركز الخلافة الاسلامية يرحل إليها الأدباء والعلماء ، ويبتغون فيها صلات الملوك والأمراء ، وقد يصل بعضهم إلى أن يرتب له الخليفة من بيت المال رزقا يجرى عليه . ويظهر أن أبا العيناء كان من أولئك النفر كما تدل عليه أحاديثه ولا سيما إذا لاحظنا أنه من موالى الخلفاء العباسيين ، فكان بلا ريب له دالة عليهم جعلته فى مأمن من تلك الحزازات التى كانت فى صدور كثير من الحاشية ، والتى سببها أبو العيناء ببذاءة لسانه ، وتطاوله على أعراض الناس

حياته البغدادية :

يقول الرواة إن أبا العيناء ولد فى آخر المائة الثانية وتوفى سنة ٢٨٢ أو سنة ٢٨٣ ﻫ فمن ثم يكون قد أظلته خلافة المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدى والمعتمد وصدر من خلافة المعتضد بالله الذى تولى سنة ٢٧٩ وتوفى سنة ٢٨٩ ﻫ . ولقد كانت الحياة البغدادية فى عصر أبى العيناء كلها ترف ولذة ، يسودها المجون والخلاعة ، ويروج فيها العبث واللهو ، وقد روى لنا المؤلفون كثيراً من مجالس لهوهم ومنادمتهم على الشراب ، ومساجلات الشعراء فى خلواتهم ، وأحاديث المجان فى طربهم ، وإنى أعتقد أن الخليفة الذى تمتع بلذات الحياة ، وأنال نفسه ما تبتغيها حقاً ، من خلفاء العباسيين هو المتوكل على الله ، فهو أول من أظهر من خلفاء بنى العباس الانهماك على شهوته ، فأسرف فى بناء القصور ، وعكف على الشراب ولم يبال باللوم[1] ، ولقد جنى ثمرة رفاهية الدولة ، وإن شئت فقل إن الدولة قد بلغت فى أيامه ذروة العظمة ، وكان لا بد لها من بعده أن تضعف حتى تنمحى ، ولكل شىء إذا ما تم نقصان . ولقد

(١) نعتقد أن الأمين لم يتمتع حقاً للخلاف الذى كان بينه وبين أخيه المأمون

حدثنا التاريخ أنه قتل في قصره ، وأن الأمور من بعده اضطربت اضطراباً شـديداً بسبب المول الهادم الذى أوجده المعتصم وهو الجنود الأتراك ، ولم يظهر استبدادهم وشرهم حتى بلغت الأمور غايتها ثم ظهر الفساد بعد عصر المتوكل

اتصل أبو العيناء بالمتوكل اتصالاً شديداً ، وسنعلم إلى أى حد أثر فيه هذا الاتصال ، ولم يقتصر اتصاله بالخلفاء على المتوكل وإنما اتصل بغيره كما اتصل به ، ولكن المتوكل هو الذى رفع له الحجاب ، وجعل يصغى لأحاديثه ، ولقد بهره منه تلك البديهة الحاضرة ، وذاك الذكاء الوقاد ، حتى رأيناه يمزح معه في كثير من مجالسه ، ويرفع الكلفة بينه وبينه

ويظهر من أقوال الرواة أن أبا العيناء حينما ارتحل إلى بغداد كان الخليفة المأمون على رأس الدولة فاتصل به وعرف وزيره الحسن بن سهل وأخذ منهما الصلات والعطايا ، ولقد أثر ذلك المعروف في نفسه حتى قال لما بلغه موت الحسن بن سهل : والله لئن أتعب المادحين ، لقد أطال بكاء الباكين ، والله لقد أصيب بموته الأنام ، وخرست لفقده الأقلام . وخبر آخر قال أبو العيناء : حصلت لى ضيقة شديدة فدخلت يوماً على يحيى بن أكثم فقال إن أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصاص فهل لك في الحضور ؟ قلت نعم ومضيت معه ، فلما دخلنا أجلسه وأجلسني ثم قال يا أبا العيناء بالألفة والمحبة ما الذى جاء بك في هذه الساعة ؟ فأنشدته :

لقد رجوتك دون الناس كلهم ... وللرجاء حقوق كلها تجب
إن لم أكن لى أسباب أعيش بها ... ففى العلا لك أخلاق هى السبب

فقال لغلامه : أنظر أى شيء في بيت مالنا دون مال المسلمين ، فقال بقية من مال ، قال فادفع له منها مائة ألف وابعث له مثلها في كل شهر . فلما كان بعد أحد عشر شهراً مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه ، فقال له بعض أولاده يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء . فقال :

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقة الأحباب

(يتبع) محمود محمود خليل

٥ • ٤٠

شوقية لم تنشر

مراقب الصحف بالآستانة

للمغفور له أحمد شوقى بك

لنا رقيب كان ما أثقله ... الحمد لله الذى رحّله
لو ابتلى الله به عاشقاً ... مات به لا بالجوى والوله
لو دام للصحف ودامت له ... لم تنج منه الصحف المُنْزله
إذا رأى الباطل غالى به ... وإن بدا الحق له أبطله
لو خال « بسم الله » في مصحف ... تغضب « تحسيناً[1] » محا البسمله
وعزة الله بلا « عزت[2] » ... لا تنفع القارى ولا خردله
جرائد الترك على عهده ... كانت بلا شأن ولا منزله
إن تذكر الخنجر لفظاً تُصب ... من شدة الذعر به مقتله
وإن تصف قنبلة لم ينم ... من هول ذكرى حادث القنبله
الشر بالمشر فيا قوم لا ... إنهم إذا راقبتمو منزله
فحاصروا الأبواب واستوقفوا ... من أخرج الزاد ومن أدخله
إن كان في السلة تفاحة ... ضموا له موضعها حنظله
أو جيء « بالشرشر[3] » له فاملأوا ... مكانها من علقم جردله
أو اشتهى الأبيض من ملبس ... قولوا له الأسود ما أجمله
ذلك يا قوم جزاء امرئ ... كم غيّر الحق وكم بدّله

(١) تحسين باشا من ذوى النفوذ
(٢) عزت باشا » » »
(٣) عين معدنية مياهها حلوة صحية

خطـــرات

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

— ١ —

اكدح لدنياك اكدح ... وباللذات افــرح
وامرح فما خُلقتَ فى الـ ... أرض لغــير المرح
دع الهمومَ جانبــــاً ... وللمسرّات اجنــح
وربما وجدتهـــا ... فى جرعة من قدح
فقد تكون ممسيــاً ... فى اليوم غير مُصبح
وإن خُلقتَ شاعراً ... فقل ولا تمتدح
كل الذنوب إن صرفـ ... ـتَ النفسَ عنها تمّحى

— ٢ —

الناس تحيــا بالمُنى ... فما لها عنهــا غِنَى
لولا المنى ماعشتَ أنـ ... ـتَ هادئاً ولا أنا
لا تذكيهــم أنفسٌ ... لها من المُنى سَنا
ولا يرى ذو اليأس ما ... أمامه وإن رنا
اليأس نارٌ تحرق الر ... وح وتفنى البدنا
وتجعل العمرَ قصيـ ... ـراً وتُطيل الشجنا
أمّلْ حيـــاةً كلها ... طيبٌ هناك أو هنا

— ٣ —

مَن يعتقـــد بنحسه ... فهو عدوٌّ نفسه
خير الفتى وشرّه ... كلاهما فى رأســــه
إن الفتى بسؤله ... ينشط لا بيأســـه
وذلُّه فى جبنــــه ... وعزّه فى بأســـه
وربما عرفت ما ... نسيجُه من لمسه
يرجو الفتى ألا يكو ... ن يومُه كأمســـه
قد درّســـته نفسُه ... فليستفد من درسه

— ٤ —

يا نفس لا تنخدعى ... بالزاهـــد المنقطع
دنياكِ هذى تحتوى ... على النعيم أجمع
تنعّمى بخيــــرها ... قبل دنوّ المصرع
وبالحياة ما صفت ... تمتــعى تمتّعى
لكل باب تحسبيـ ... ـن الخيرَ خلفه اقرعى
واتهزى الفرصة قبـ ... ـل فوتها وأسرعى
بالبســمات تبلغيـ ... ـن السؤلَ لا بالأدمع

— ٥ —

مصيبتى فى الهرَم ... فإنه امتصّ دمى
لم يبق منى غير جلـ ... ـدٍ ذابلٍ وأعظُم
وغير نفسٍ قد تربّد ... ت فيا نفسُ اسلمى
وغير ما أقوله ... عند الأسى من كَلِم
صعبٌ علىّ السيرُ من ... ضوء الضحى للظلم
إنى أرى الموتَ أما ... مى ماثلا من أمَم
مَن ضامنٌ ألا يكو ... ن الشيخ بالمنهدم

— ٦ —

انظر إلى الزواهر ... يسبحن فى الدياجر
تلك شموسٌ قد بعدْ ... ن عن عيون الناظر
لا تنسَ ما بين نجو ... م الليل من أواصر
فكلهـــا مؤلّفٌ ... من كهرباء ثائر
ما أقدم الوجودَ فهْـ ... ـو عنصر العنـــاصر
فما له من أوّل ... ولا له من آخر
يا سندٌ فيه نحا ... لى لكونٍ من قادر

— ٧ —

أهدِ إلى الشمس القبلْ ... فإنها بنتُ الأزلْ
وحيّها عنـــد شرو ... قها وحىٍّ فى الطَّفَل
قد عُبِـــدت من الأنا ... م فى قرونها الأُوَل
منها الحياة والرخا ... ء والسرور والجذل
والأرض لولاها خلت ... من الحيـــاة والعمل
والشمس أمُّ الأرض والـ ... ـخطبُ إذا زالت جلَل
توغلُ فى هـــذا الفضا ... ء الرحب من غير وَجَل

بغداد — **جميل صدقى الزهاوى**

بعد الأخاء والعداء

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

حنوتُ على الود الذى كان بيننا وإن صدَّ عنه ما جنينا على الود
حنوتُ ولو أنى حنوت وما حنا ولو أنه يبغى هلاكى من الحقد
ولا أكذبنَّ الناس قلبى كقلبه له آنة ميلٌ عن النصف والقصد
كلانا جنى شراً فعاد إخاؤنا محا الأحكى ذكرى الشباب على بُعْدِ
فيا طيب ذكراه وما بُعْد عهده وأين قديم الود من حاضر الصد
مضى حيث يمضى عابر بعد عابر من الأهل والأصحاب والقحر والولدِ
مضى حيث يمضى كل رأى ومذهب
له أجل كالناس ظعن بلا عَوْدِ
إذا أنا أُنسيتُ الإساءة من أخ ذكرتُ له منى إساءة ذى عمد
وأيقنت لا ينسى عدائى وماجنى عدائى عليه من عناء ومن جهد
أيلتئم الصخران فى اليَمّ بعدما تردد موج اليَمّ بالصدع والهد
ويتفق الخلّانِ من بعد ما بدت به بغضة من مين قول ومن نقد
وكنا على ما كان من قرب أنفس كنهرين فى وادى النضارة والورد
قد اقتربا مجرى وماء وعسجدا من الشمس لألاء كلألاء الود
حياة شبابٍ عسجدٌ أىّ عسجد وعهد إخاء لا يغيض ولا يُكدِى
إلى أن دعا داعى الحياة وإقنها فمال بنا قصد السبيل عن القصد
وغيّرَ منا القلبَ والنفسَ والمُنى وزاد طِماحُ النفس بعداً على بعد
هو البغض مثل الحب لحظ فنطلق فنار لها بين الأضالع كالوقد
وإن كنتَ تدرى الحب كيف طروقه
ولم تدره أيقنت ما جاء بالحقـــد
فيا ليت أنى قد غفرت جفاءه ونَبْوَتَهُ حتى يصد عن الصد
ويذكرلى صبرى على الضيم والأذى فيأسى على ما كان منه من الكيد
وَتكسِبنى منه الندامة ألفة وإن كان لى من قبل كالحجر الصلد
أعيش بصفو منه يوماً فإنْ جنى على إثرِهِ غدراً ذخرت له ودى
وأذكرُ نفسى منه عند انصرافها شمائل تستدعى التَغيظَ إلى الحد
أبَعْدَ بلائى العيش أبغى مُبَرّأً وكيف ونفسى لى كما الضد للضد
يروقك حسن الفجر والنجم فى الدجا
ومرأى رياضٍ من عرار ومن ورد
وأحسن منها البشر فى وجه صاحب حليفك منه ما استسر ولم يُبْدِ
فياليت لى دنيا أبيع حطامها بود أخٍ لو يشترى الود بالنقد
إذا الحب لم يخلص من البغض والأذى
فكيف خلاص الود من عنت الحقد
وخِلّاننا مثل الجوارح أيهم فقدنا فبعض النفس فى ذلك الفقد
أحقٌ طِلابُ الود من نقص طالب إذا قَرَنٌ نشدانك الود بالحمد
لتكمل بالخل الذى أنت ناشد كما كَمُلَ النصفان تجمع فى العد
ويا طيب قلب ضره الود حقبة كما عظُمَ المخدوع بالفضل والمجد
وإنك لا تدرى أقلب مراوغٌ أسرٌ أم القلب المُغَرَّرُ بالود
وإنّ وداد المرء من بعض غنمِهِ ولو أنّ مخلوف الوفا غاض لم يُجْدِ
تعيش بمخلوف الرجاء وكذبه فطامِنْ فإن الود يا قلب لم يُرْدِ
رحيق الحياة الود لو دام صفوه وكالخمر أصفاه المُعَتّقُ ذو العهد
وأحســـنه ما كان من عصرة الصّبَى
ولم يَحْلُ بعد الشيب مُسْتَحْدَثُ الود..
فمن لى بعود الدهر للود والصّبَى أليفين ما كانا كما الند للند
يخال الصّبَى ودا وود الصّبَى صِبًى كأنهما الممزوج كالجوهر الفرد
وإن قتير الناس من خان خِلَّهُ وإن نال حظاً من طريفٍ ومن تلد
أأبغى إخاء لم تَشُبْهُ عداوةٌ وأنقم عفو الغدر أو غدرة العَمْدِ
كأنّى لم أدرِ الأنام وخُلقه ولم أدرِ أن الضـــد يولع بالضد
أبَعْدَ فراغى من جنازة ودنا أروم خلود الود من عادم الخلد
متى أرتضى الخلان صحوا وغيمة فأمنحهم غيثى وأمنعهم رعدى
أغالط نفسى فيهمُ وأغرها وإن لاح منهم غدر أعدائى اللد
وأكتم من آلام نفسىَ عزةً إذا لم يُتَحْ لى ما أُزيل به وجدى
فيا ساقىَ النســيان عاطِ صحابتى وهات لِىَ النسيان رفداً على رفد
وهيهات ما أمر إذا جد جده ليُنْدَى ولو واروه فى مُشْبِهِ اللحد
إذا انفلت السهم الطليق فما له ولو أنه سهم التحيرىّ من رد
ويعجز هذا الدهر عن نقض فعله ألا وهو الدهر المصرِّفُ ذو الأيْدِ

عبد الرحمن شكرى

في الأدب الإنجليزي

٤ – الكائنات الغيبية

في شعر شكسبير

The Supernatural

بقلم خيري حماد

وكان من السائد في ذلك العصر أن هذه الطائفة من المخلوقات سرمدية أزلية ، فكثيراً ما يطلق شكسبير على الناس لقب الأحياء الفانين بينا هو لا يعرض لهن بشيء من ذلك . وقد يجعلن من الرجل أداة للهزء والسخرية فيلقبنه بألقاب عدة أهمها أنه حي زائل وليس بباق . فالملكة تيتانيا تطلب من بطانتها ووصائفها أن يعاملن بلطف ذلك المخلوق الزائل بوتوم (Bottom) . ولهذه المخلوقات زيادةً على ذلك خاصية الاختفاء والظهور للبشر ، فهي كالفقاعات الهوائية التي لا تظهر للناس حتى تزول ولا يمكن عند ذلك معرفة الجهة التي اختفت فيها أو تمييزها .

وفضلاً عما تقدم كانت لهن صفات أخرى أهمها خاصية التشكل والظهور بصور عدة ، وقد صور إيبرون لنا نفسه بقوله : « سأكون في وقت ما حصاناً فأصهل ، أو كلباً فأنبح ، أو قوقعة فأنعق ، أو دباً فأقمقم ، أو ناراً فأحترق » . وخاصية السرعة والنشاط فهن أسرع من القمر ، وفي استطاعتهن الدوران حول الكرة الأرضية في مدة لا تتجاوز الأربعين دقيقة . وقد افتخر روبن هود بسرعته وتحدى الآخرين قائلاً « انظروني أذهب بسرعة لا تدانيها سرعة السهم وقد انطلق من قوس التتري »

وأهم ما نراه مشتركا بين الجنيات هو ميلهن إلى الموسيقى وفنه فلا يطربن للسماع فقط بل خلقن وقد لازمهن هذا الفن وهذه الموهبة النادرة ملازمة تامة . وما جزيرة العاصفة الخرافية إلا مكان تسوده الموسيقى والأصوات العذبة مما جعل للمكان روعة ساحرة خلابة . فكثيراً ما كانت تسمع أصوات آلاف الآلات الموسيقية منتشرة في الجو انتشاراً لا يضاهيه انتشار الروائح العطرية المختلفة ولم تقتصر هذه الموهبة على الموسيقى فحسب بل تجاوزتها إلى الرقص ، فنرى الملكة تيتانيا تأمر بطانتها وجواريها « أن يخترن من الينابيع وجداول الأنهار وشواطئ البحار أمكنة ليقمن فيها حلقات الرقص والموسيقى »

وآخر هذه الميزات التي اشتهرت بها الجنيات هي ميزة حماية القبور والأضرحة . فكن يقمن بأعمال ما يسمونه الملاك الحارس . ولا تقتصر مهمتهن على تسلية الميت بل تتعداها إلى حفظه سليماً من الحشرات معافى من الجراثيم . ونرى هذه الخاصية بوضوح في رواية سمبالين إذ يقول « ستقوم نساء الجنيات بحراسة قبره من الحشرات »

أما وقد انتهينا من هذه الصورة الرائعة التي صورها لنا شكسبير فيجدر بنا أن ننظر أكان موفقاً في تصويره أم غير موفق . قال جيبسن يصف هذه المحاولة : « إن صورة الجنيات في روايات شكسبير تمثل لنا المرح والسرور والنية الطاهرة ممتزجاً بعضها ببعض تحددها المحاولات الضئيلة التي يقصد منها إيقاع الضرر بالناس . ولا يقصد الشاعر من هذه الصور إلا تسلية قرائه فقط غير محاول إظهار عقيدته الحقيقية ، وما هي إلا مخلوقات هوائية تحلق في الفضاء مرفرفة أمام أعيننا [1] »

لا يسهل علينا أن ننكر قط هذا الجمال الظاهر في هذه الصورة النادرة . فقد نجح شكسبير أيما نجاح في إبرازها إلى حيز الوجود بلباس رائع من المرح والسرور ؛ ولقد صدق جيبسن في وصفه السابق لهذه الصورة من ناحية واحدة وأخطأ في ناحية أخرى ، فلقد حكم أن شكسبير لم يقصد منها إلا تسلية قرائه غير معبر عن أية عقيدة من عقائده . وحسبي أن أقول معارضاً هذا الرأي أنه ليس في استطاعة أي شاعر أو كاتب أن يصف عقيدة من العقائد كهذا الوصف الدقيق المسهب دون أن يكون له أدنى تفكير وإيمان بالعقيدة نفسها . فقد اعتقد شكسبير بوجود الجنيات وسمع ما كان يدور على ألسنة أهل عصره من قصص وأساطير جلاها في رواياته مرتدياً رداء من الخيال الواسع والابتكار البديع

الساحرات Witches :

من الصور الغيبية التي رسمها شكسبير بدقة تأتي صورة الساحرات في الدرجة الثانية ؛ فلم يقتصر ذكرهن على رواية واحدة من رواياته ؛ بل تعدتها إلى عدد من الروايات لا يقل عن التي تبحث في الجنيات أهمية وعدداً ، ولكنه اختص إحدى هذه الروايات ببحث مسهب مستفيض جعلها قاصرة على هذا النوع من المخلوقات الغيبية ، وهذه الرواية هي التي يعدها كثير من النقاد والأدباء أحسن ما كتبه الشاعر ألا وهي رواية مكبث

أما ساحرات شكسبير فيقسمن إلى طبقتين مختلفتين :

(1) Gibson. Sh. Use of the Supernatural. P. 18

أولاها طبقة الساحرات البشريات اللواتى يوصفن عادة بالذبول . وثانيتهما طبقة الساحرات العلويات أو الغيبيات اللواتى امتزن عن أخواتهن بمعجزات أرق وأهم

يذكر شكسبير ساحراته الأرضيات فى كثير من رواياته العديدة حيث يكون لهن شأن ضئيل فى مجرى الرواية وهيكلها . فهو يذكر فى رواية هنرى السادس إحدى هؤلاء الساحرات على لسان تالبوت (Talbot) حيث يقول : « إن بوسيل تلك الساحرة الملعونة قد سببت هذه المصيبة وتلك الأكدار التى لم نتخلص منها فى فرنسا إلا بعد لأى » ، وقد ذكرهن فى رواية أخرى هى رواية « نساء وندسور المرحات » (Merry wivesof Windsor) ، حيث تقول السيدة بيج (Page) : « دعنا نلبسه ألبسة تشبه ألبسة ساحرة برانيفورد » . وقد ذكر هذا النوع من الساحرات فى رواية ثالثة هى رواية الملك ريشارد الثالث عند ما يخاطبه كلوسستر (Gloucester) قائلاً : « إن هى إلا امرأة ادورد تلك الساحرة التى نفثت سحرها فى أعمالى فباءت بالفشل »

فى جميع هذه الروايات التى ذكرتها نرى الساحرات البشريات يلعبن دوراً بسيطاً ، بينما الساحرات السماويات تشغل قسماً أكبر من تفكير هذا الشاعر العظيم ؛ فقد اختص رواية مكبث كلها بتحليل شخصياتهن ووصفها وصفاً دقيقاً مسهباً . وقد صدق مستر لويد فى كتابته النقدية عن مكبث حين قال : « إن رواية مكبث تشمل الخيال البدع والمخاوف السحرية ، وكثيراً من الخرافات التى كانت تسود أقسام بريطانيا الشمالية والجزر الغربية منها »

وهؤلاء الساحرات لا أسماء لهن فهن يدعين أنفسهن بالأخوات القابلات كما يتبين لك فى مواضع عدة من رواية مكبث وقد كان الناس كثيراً ما يشتبهون فيهن فيحسبونهن رجالاً لما فى ذقونهن من لحى كلحى الرجال بينما هن فى الحقيقة أناث اكتملت فيهن صفات الأنوثة ؛ ويظهر هذا جلياً فى رواية مكبث عند ما يقول مخاطباً آباءهن : « إنكن نساء مع أن لحاكن تجعلني أميل إلى الاعتقاد فى رجولتكن »

إن هذا المظهر الذى كان يجمع بين صفتى الرجولة والأنوثة فى هؤلاء الساحرات كان سبباً قوياً فى ازدياد الشعور نحوهن بالكره والازدراء . وكم كان الناس يودون القضاء عليهن لولا أن فى استطاعتهن أن يغيرن صورهن وأشكالهن ، فتارة تراهن بصورة قطة من القطط الرقطاء ، وطوراً بشكل فأر قد قطع ذنبه ، وهذا يتجلى لنا بصورة واضحة فى رواية مكبث عند ما تظهر إحداهن فى بدء الرواية بصورة هرة تدعى كريمالكين (Greymalkin) وقد وصفت إحداهن نفسها بقولها فى ناحية أخرى من الرواية « سأكون بشكل فأرة عارية عن الذنب فأمتطى منخلاً وأسبح فى البحر محاولة تخريب السفن وإغراقها »

وتختلف الساحرات عن الجنيات بكونهن عاملاً من عوامل الشر والدمار فهن يحملن فى أنفسهن الكره الشديد لبنى البشر ويسعين بكل طاقتهن لايقاع الضرر بالمجموع البشرى ، وكثيراً ما يستعملن الأعشاب السامة لتنفيذ أغراضهن الشريرة ، وكانت لهن ملكة تدعى هكيت (Hecate) اقتصرت أعمالها على إيقاع الآلام بالناس ، وقد وصفها لوشيانس فى رواية هملت بقوله : « انك لتخلط بين أعشاب الليل وبين الأعشاب الصفراء الذابلة التى جمعتها هكيت لتستعملها فى سحرها وفى ذلك تنتهى الحياة البشرية »

وتمتاز الساحرات بأنهن أقوى أنواع هذه المخلوقات الغيبية ، فهبوب الرياح والسباحة فى البحار كانت من المسائل التى فى استطاعتهن القيام بها بكل سهولة ، وكان الليل أحب الأوقات إليهن لأنهن يستطعن الخروج فيه بكل جرأة وحرية ويتعاطين مايشأن فى أثنائه . ولنستمع إلى مكبث مخاطباً إياهن قائلاً : « ماذا تعملن أيتها المخلوقات السرية الليلية »

ولم يقتصر زمن ظهورهن على الليل فقط بل كان بامكانهن التجول أثناء النهار فقد اتفقن فى الفصل الأول من رواية مكبث أن يقابلنه قبل مغيب الشمس . وكان فى استطاعتهن أن يختفين أويظهرن حسب إرادتهن . فقد ظهرن لمكبث وبانكو فى الفصل الثالث من الرواية لكنهن ما عتمن أن اختفين بعد أداء مهمتهن التى قصدنها وقد استولت الدهشة على بانكو فصاح قائلاً لما اختفين : « إن للأرض فقاعات كما أن للماء فقاعات أيضاً ، وهذه المخلوقات هى من فقاعات الأرض ، فى أى مكان اختفين ؟ »

حاولت الساحرات إظهار قوتهن وسلطتهن على البشر فصدرت عنهن تلك النبوءات التى تم تحقيقها فى نهاية رواية ومبث ، وكل ماقى هذه الرواية من ابتكار وابتداع يرتكز على محور واحد ذلكم هو النبوءات ، ففى بدء الرواية يخبرنه عن المستقبل فيتنبأن بصيرورته سيداً على كادور ثم ملكا على اسكتلندا ، وكلتا هاتين النبوءتين يتحقق ، وفى نهاية الرواية يتنبأن بنبوءات جديدة ، فيخبرنه أنه لن يصيبه مكروه من إنسان عادى بل من رجل لم تنجبه امرأة ، وإن هذا الأمر لن يتحقق إلا إذا انتقلت غابة برنام (Birnam) من مكانها وسارت مسافة

لا تقل عن الخمسين ميلا ، وكل هذه النبوءات تتحقق ويتبين صدقها في نهاية الرواية

ونظراً لهذه الشرور والآثام التي كان الساحرات يرتكبنها كان الناس على اختلاف مللهم ونحلهم ينظرون إليهن بعين الكراهية والسخط ، فكانت لهن عادات مستهجنة غريبة كميلهن إلى الأعداد الفردية وخصوصاً الثلاثة منها ، فلا يخطون إلا ثلاث خطوات عند رقصهن ، والقط لا يموء إلا ثلاث مرات ؛ وقد اعتقد شكسبير أن السبب الذي حدا بهن إلى هذا الميل الغريب هو اعتقادهن أن الأعداد الفردية تنبيء عن الحظ الحسن والفال الجيد

وكان العقاب الشديد دائماً في انتظارهن يهدد حياتهن ، فكل امرأة كان يشك في كونها ساحرة من النوع الخطر كانت تُشد الى قطعة خشبية مصلبة تتوقف بواسطتها الحركة الدموية ، وتتشنج الشرايين فتحدث ألماً شديداً قل أن يحتمله انسان . وقبل أن تتوقف الحركة الدموية بهذه الطريقة كان الساحرات يربطن لمدة لا تقل عن الأربع والعشرين ساعة حتى تعترف بسحرها . وهناك طريقة أخرى كان الساحرات يعذبن بواسطتها ألا وهي طريقة نزيف الدم بقطع أحد الشرايين

وللساحرات فصل معين من فصول السنة لا يظهرن فيه أبدا ، وقد ذكر شكسبير ذلك في رواية هملت بقوله : « يقول البعض إن الفصل الذي ولد فيه السيد المسيح هو فصل سعادة وحبور ، ففي أثنائه تظل الطيور مغردة على الأفنان ، وتختفي الساحرات والأشباح من عالم البشر » . وكان الناس يخافونهن ويسعون في مرضاتهن فيستعيذ المتدينون من الرجال منهن ويبتعدون عن شرورهن وآثامهن

وإني لأعتقد من جراء هذا الاهتمام الذي ابداه شكسبير بهن ، وهذا التدقيق في البحث في مسائلهن وتصويرهن ، أن شكسبير كان يؤمن بوجودهن وقدرتهن الايمان كله ، فقد اعتقد أن لهن من القوة والجبروت ما تستطعن بواسطته اخضاع النوع البشري لسلطتهن وسيطرتهن ، وهذا ما أظهره جلياً في كتابته عنهن في كثير من رواياته .

صبري حماد



صور من هوميروس

١٠ – حُروب طَرْوَادَة

معركة بين الآلهة . . .

للأستاذ دريني خشبة

وقفت نَدْمانَةُ الآلهة « هيب » اللعوب الهيفاء ، تسق أربابها خمراً ! وكان الأولمب يزخر بسادته

فهذا زيوس العظيم مستوياً على عرشه الضخم المرصع بالجوهر والياقوت

وهذا أبولاو سيد الشمس ، وصاحب القوس ، يوقع على قيثارته أشجى ألحانه

وهذا ڤلكان ، الحداد القذر ، قد بدا فى حلة جديدة ذات ألوان صارخة

وذاك مارس الجبار ، إله الحرب ، يلاعب الأسنة ، ويداعب الصَّمْدَة السُّمْرَة

وذلك هرمز ، عزرائيل هيدز الكريم ، ورسول الآلهة إلى سكان الأرض ، يرسل فى الملأ نظراته الساخرة ، ونكاته المنكرة

وهذه حيرا ، ، مليكة الأولمب ، تود لو تضرم النار فى قصور مولاها ، إن لم يقض بانتصار الأغريق !

وهذى مينرڤا . . . الحكيمة الراشدة . . . تصمت صمتاً أبلغ من وَحْى الأولمب كله ، ترى هل تستطيع تسخير هذه العصبة من الأرباب لسحق باريس وقومه وأحلافه !

ثم طائفة كبيرة من الآلهة وأنصاف الآلهة . . .

وهيب اللعوب تسق الجميع خمراً !!

وللخمر الأولمبية ، كما لخمر هذه الأرض ، نشوة وسورة ، ولها على رؤوس أربابها صولة وسلطان ، وهى مثلها تُرَوِّى حتى تبلغ المُشاش ، وتتغلغل حتى لتمتزج بالدم !

وهيب تروح وتجئ ، حلوة بسامة ... كأنها مدامة !

ورَوِىَ الجميع إلا حيرا !!

وانتشى الجميع إلا مينرڤا !!

لقد كانتا ما تفكران إلا فى هذه الساحة الحمراء ، وما يقع فيها من بلاء !

أليس قد ذهب الهيلانيون ينتقمون لكبريائهما من باريس ومن قوم باريس ؟

ألم تنصح عروس الماء ، إيونونيه ، لباريس ألا يصيخ لڤينوس ، وأن يعطى التفاحة لمينرڤا ؟

ألم تحذره من التعرض لنقمة الربتين العظيمتين ؟

غير أنه أبى ! !

وآثر الجمال والحب ، ثم الشقاء والحروب ، مع ڤينوس ، على القوة والصولة ، والملك الكبير ، والحكمة والنورانية ، مع حيرا أو مينرڤا !!

وبذلك جلب على نفسه وقومه وبال هذه الحرب ونكالها !

وليس اليوم أروح إلى قلب حيرا ، وأرضى إلى نفس مينرڤا ، من أن تنصرا جحافل الهيلانيين ، وتثبِّتا فى ساحة الحرب أقدامهم !

ولكن أخيل منفرد فى معسكره وهو مفئود محزون !

وقد وعدته أمه بالأثأر له ، وكلت فيه زيوس سيد الأولمب ، ولم تزل به تسلط عليه ذكريات غرامهما القديم حتى زلزلت أركانه ، وسلبت جنانه ، وانتزعت منه وعداً قدسياً بأن ينتقم

من أجاممنون ، وجنوده لأخيلها العزيز !

تأنيكم إذن حيرا وميترفا

وذاكم زيوس كبير أرباب الأولمب

أما أبولو ، فهو لا ينسى أن فضحه أجاممنون فى بنت كاهنه ، وهو ما يفتأ يتربص بالقوم ، ويدبر لهم سوء المنقلب !

وأما ڤينوس ، ... ، ... ؟ ...

فتلك أبرّ بباريس وبقوم باريس ، وهى أبداً ستحمى باريس وجند باريس !! لأنها ستذكر له أبداً أنه نصرها على حيرا ... وأيدها على مينرفا !!

وكذلك أوقدت هذه الحرب العداوة والبغضاء بين الآلهة ، وأضرمت النيران فى قصور الأولمب !

فللآلهة فى جبل (إيدا) معسكران ، كما لبنى الوقى حول طروادة معسكران !!

* * *

أوشك منالايوس أن يفتك بباريس ، لولا أن أنقذته ڤينوس ولقيته هيلين عاذلةً مغضبة ، لكنه نسى نفسه بين ذراعيها ، واستباحها أن تدع حديث الحرب إلى نشوة الحب ، ... « على أن أعود فأثأر لنفسى من منالايوس المتيـد ، الذى لولا حماية مينرفا وحيرا له لبطشت به وجعلته خبراً فى الذاهبين ... »

وكان العهد بين بريام الملك ، وأجاممنون قائد الهيلانيين ، أن يُلقى المغلوب السَّلَمَ ، فلما فرّ باريس تقدم أجاممنون وطلب أن يسلم الطرواديون هيلين الأرجيفيه ، وأن يقدموا دروع باريس وسيفه ، وفرسه ، وجميع عدته الحربية ، لتكون أثراً خالداً يحتفظ به الأغريق ويتوارثونه رمزاً لمجدهم الحربى ، وتذكاراً لفوزهم وغَلَبهم

بيد أن الطرواديين رفضوا هذا الطلب : « لأن أحداً من المتبارزين لم يظفر بالآخر ، ولأن قطرة من الدم لم تصبغ أديم الأرض فتكون شاهد النصر » .

وكانت بين الفريق مهادنة

فخشيت حيرا ومينرفا أن يطول أمدها ، واتفقتا على أن تذهب مينرفا هذه المرة أيضاً فتضع حداً لهذا السلام الذى يشمل الساحة ، وأن تثير الحرب من جديد !

وذهبت مينرفا فاندست بين صفوف الطرواديين ؛ وسحرت نفسها فبدت فى عدة (لاودوكوس) البطل الطروادى وهيئته ، ثم وترت قوسها وأرسلت سهماً مراشاً نفذ فى جسم منالايوس إذ هو يبحث عبثاً عن باريس ...

وتجددت الحرب بين الفريقين بسبب هذه السهم ، فكانت حرباً زبوناً ، طاشت من هولها الأحلام ، وبلغت القلوب الحناجر وزاغت الأبصار فما ترى إلا حمياً ...

وعز على ڤينوس أن ينهزم جنـد طروادة ، وهم أولياؤها وصنائعها ، فذكرت أن لها فى أرباب الأولمب عاشقاً هيماناً يترضاها ويلتمس وصلة منها تشفى قلبه الخفق ، وتداوى هواه الثائر ، وأعصابه التى مزقها الحب ، وأذابها لظى الغرام ، فانطلقت إليه تغريه بكل ابتسامة تلين الحديد ، وكل نظرة ساجية تفجر الماء من الصخر ، أن يقوم من فوره فينفخ من روحه فى قلوب الطرواديين ، ويؤيد بنصره صفوفهم ...

ذلك هو مارس ، مُسعّر الحروب ومورى لظاها !

وطرب الطرواديون لوجود رب القتال فى صفوفهم يناصب أعداءهم الحرب فيجعلها ضراماً ، ويصلصل دروعه فيوقع فى قلوبهم الرعب ، ويثير فى نفوسهم الهلع ، ويروّعهم ترويعاً ...

وكانت إلى جانبه ڤينوس تنفث فيه سحرها ، فكان لا يلاقى فارساً إلا طعنه فيكبه على وجهه ، ثم يشكه فيجفوه[1] من الأرض ، كأنما يتخذ منه هزواً وسخرياً !!

وهرع أبولو فأمطر الهيلانيين وابلامن سهامه التى ما مست أحداً إلا أردته ، وما أقصدت صدراً إلا شقته ...

وساء منقلب الهيلانيين !

وعز على حيرا ومينرفا أن ينهزم أصحابهما ، وأن يصلوها من مارس وأبولو ناراً حامية ، وهزيمة منكرة ، ثم لا يكون بحسبهم ضربات مارس الازاب ، وسهام أبولو المفوّقة ، بل تطحنهم هذه الصواعق الجهنمية التى سلطها كبير الآلهة عليهم ؛ زيوس ، سيد الأولمب ، الذى أصبح كل همه أن ينتقم لأخيل بن حبيبته

(١) جفاه من الأرض أى رفعه .

ذيتيس من هؤلاء الأغريق ناكرى الجميل ! !

وعبست حيرا عبوساً ثقيلاً ، ودعت إليها مينرفا ، وجلستا تفكران ! وبدا لها أن يذهبا إلى الأولب فيستدعيا رب البحار العظيم ، نبتيون ، فيضع حداً لهذه القسوة التى يبديها مارس وزميله أبولو . . .

ولكن كيف السبيل إلى غل يد زيوس ، ورد صواعقه التى تنحط على الأغريق من عل ، فلا تبق عليهم ولا تذر ؟

آه ! لا سبيل إلى ذلك إلا بمنطقة ڤينوس السحرية ! ستوس ! تلك المنطقة العجيبة التى تنوى كل من نظر اليها ، وتشعل فى قلبه لظى من الهوى ، وضراماً من الحب . لا بأس إذن من ممالقة ڤينوس حتى تنزل من منطقتها أياماً لمليكة الأولب وكبيرة رباته ، ثم لتذهب مليكة الأولب بمنطقة ڤينوس لتعبث كثيراً — أو قليلاً — بقلب زيوس ، الذى ما يفتأ يرسل صواعقه على الأغريق من جبل (إيدا) ، وليس شك أن سيصبو زيوس حين يرى منطقة ڤينوس تزين خصر حيرا وتبرز مفاتن صدرها ؛ فاذا عصفت به فورة التشهى ، وحاول قبلة واحدة من آثر زوجاته إليه ، فلا بأس من أن تمنحه إياها ... ولكن ... لتنهز سكرته العميقة وتسلط عليه إله النوم الجبار — الذى هو دائماً فى خدمتها أينما سارت — فيغرقه فى سبات عميق ، ويظل به يداعب أجفانه ، ويسيل أحلامه ، حتى يكون نبتيون قد انكشف لمارس وصاحبه ، وأجنادهما ، فيقذف الرعب فى قلوبهم ، ويزلزل أركانهم ، ويوهى عزائمهم ؛ ويختلط حابلهم بنابلهم فيولون مدبرين لا يلوى أحد على أحد ! . . .

وقد أفلحت خطة حيرا . . .

فهذا مارس ما يكاد يلمح نبتيون حتى يذكر هذه الأيام السوداء التى صب عليه فيها رب البحار سوط عذابه [1] ، فيخفق قلبه ، وترتعد فرائصه ، ويكبو زنده ، وتذهب ريحه وتتحطم شوكته ... ثم يقذفه نبتيون بسهم ، وقل أن تطيش سهام نبتيون ، فيصرخ إله الكريهة صرخة كريهة ، وينفتل من الحلبة الحمراء مولياً عقبه ، ساخطاً على ڤينوس ، وما يجر اليه غرام ڤينوس ! ! !

وولى فى إثره أتباعه الطغاة ، آلهة الشرور ، إيريس رب الشغب ، وفوبوس رب الرعب ، وميتوس رب الخوف ، ودعيوس رب الفزع ، وبالور رب الهلع . . . عصبة الاجرام وشرذمة الآثام ، والطغمة الباغية من أوشاب الأولب ! !

وأفيق الأغريق مما حل بهم من روع . . .

ونظروا فرأوا مارس وملأه مولين الأدبار ، والدم يتدفق من جراحهم جميعاً ؛ فأفرخ روعهم ، وأمن سربهم ، ثم لموا شعثهم وهجموا على أعدائهم هجمة رجل واحد ، فأدالوا لأنفسهم ، وثأروا لكبريائهم ، وانصرفوا يتفقدون جرحاهم ، ويحرقون جثث قتلاهم الشهداء !

يا الهول !

لقد قتل إمبروس البطل ! قتله تيوسير ، غير راحم شبابه ، ولا مبق على عوده الفينان !

وأمفيا خوس ! ! لقد صرعه هكتور بن بريام ، غير راث لأمه العجوز الهرمة ، ولا آبه بالباكين حوله والمعولين ! !

وديوميد ! ! زين شباب هيلاس ، وآثر فتيانها إلى قلوب الآلهة ! لقد جرحه باريس بسهم أوشك أن يكون قاتلاً ! لولا أن أدركه جنوده فأسعفوه ، وضمدوا جرحه وإلى المعسكر حملوه !

وأجا ممنون ! لقد برز فى المعمعة ، ودل على الفروسية التى بهرت الطرواديين ، بيد أنه أصيب بسهم نفذ فيه ، فارتد على عقبه يصرخ ويتلوى !

وأوليسيز !! أوليسيز العظيم !! لقد أرسل إليه سوكوس ، أمهر رماة طروادة ، بسهم مفوق ، جعله ينتفض كما ينتفض المحموم ، ويخر إلى الأرض فيتأود كأن لدغته أفعى ، ولولا أن أدركه أجاكس ومنالايوس فأسعفاه لكان من الغابرين !

وأجاكس كذلك ! لقد أتاه سهم كاد يذهب به لولا بقية من حياة ! !

ومخاون ! لقد روعه باريس هو الآخر فشكى وبكى ! !

* * *

(١) إشارة إلى الأسطورة القديمة التى وقع فيها مارس أسيراً للماردين الجبارين بتدبير نبتيون

أرأيت ؟

لقد نال الطروادیون وأحلافهم من جموع الهيلانيين ، ولولا أن أغاث هؤلاء نبتيون القاهر ، لكانت ملحمة فاصلة في هذه الحرب الشعواء !

وكأن السماء قد أيقظت ضمائر اليونانيين ، وبرهنت لهم أن أخيل ما دام لا يخوض معهم المعمعة ، فلا نصر لهم ولا غلبة ، ولا محيص من هذه الهزائم المتتالية ، والجروح التي لما تكن قصاصا لولا أن أدركهم نبتيون !

عرف اليونانيون هذا ، وآمنوا بعد هذا الفزع الأكبر أن لو كان أخيل بينهم يوم هذه الكريهة لما حفلوا بمارس وأتباعه ، ولأظفرتهم آلهتهم بأعدائهم ، ومارس وملئه ، وأبوللو وجنوده جميعاً . . .

وانطلق نسطور فعرض على أجاممنون مصالحة أخيل وإرضاءه ، وبعد لأي رضي القائد العام أن ينطلق نسطور [1] وأوليسيز وأجاكس وفونيكس إلى معسكر أخيل ، مندوبين عن القائد ، ليعرضوا عليه صلحاً شريفاً ، وموثقاً كريماً ، يرضاه الطرفان ؛ ولكن أخيل يثور لكرامته ، ويأبى إلا . . . بريسيز . . . ؛ ثم لا يشترك في حرب ضد الطرواديين . . .

ويلح أوليسيز على صديقه القديم . . . .

ولكن صديقه القديم ما يزداد إلا شماساً ، وما يزداد إلا أنفة . . .

ويكون فونيكس قد نالت منه حجج أخيل ، ويكون قد خلبه بيانه ، وبهره حسن منطقه ، وطلاقة لسانه ، وعظيم شجاعته ، فيؤثر البقاء معه ، مخاصماً الهيلانيين جميعاً حتى يرضى أخيل فيتركه أوليسيز وصاحباه ، ويعودون إلى أجاممنون . . . بخفي أخيل ! !

* * *

وهكذا تم كل هذه الأحداث الجسام . . .

وزيوس يغط في نومه الهادئ الناعم يوماً بأكمله . . حتى يبطل السحر ، وتذهب الرُّقية ، فيهب الآله الأكبر من سباته حيران أسيفاً . . . لأنه ينظر من ذروة جبل إيدا ، فيرى إلى نبتيون الجبار يصول في ساحة طروادة ويجول ، ويصرع الابطال ، ويجندل الأقران ، ويرى إلى مارس المتيد ، وجنوده الأقوياء ، يفرون من وجه سيد البحار ، لا يلوون على شيء . . .

ويرى أيضاً إلى أخيل ما يزال منفرداً في فسطاطه ، قريباً من سفائنه ، والحزن يمضه ، ويوهي جلده ، فيحزن الآله الأكبر وينفذ إيريس إلى نبتيون لتزجره ، ويأمره أن يغادر الممعان في الحال ، وإلا أرسل عليه سيد الأولمب صواعقه ، وهناك لا يكون له حول ولا تكون له قوة . . .

ويغادر نبتيون الموقعة ، ولكن بعد أن دمر الطرواديين تدميراً ! . . .

« لها بقية » دريني خشبة

(١) في بعض المصادر أن نسطور لم ينطلق معهم إلى أخيل

رحلة إلى حدود مصر الغربية

مرسى مطروح ، سيوه ، السلوم

للأستاذ الرحالة محمد ثابت

شددت رحالى إلى الناحية الغربية من الديار المصرية، تلك الناحية التى يجهل عن أهلها الشىء الكثير ، فكان أن بدأت بخط ادكو ورشيد ، فمررنا بأراض شبه صحراوية ، بها مزارع متناثرة غير متصلة ، وبخاصة حول أدكو ، وهنا أدهشنى نشاط الأهلين فى الكد وراء كسب عيشهم حتى الأطفال ، فتراهم لا يضيعون من وقتهم شيئاً ، يخرجون جماعات لصيد السمك أو الطيور ، ويتجرون فى ذلك كباراً وصغاراً ، وأنت ترى جموعهم تتهافت على القطار يعرضون عليك سلعهم هذه ، فان أعوزهم المشترون عكفوا على دورهم يأكلون ما تخلف معهم من سمك كثير وطير وفير ؛ لذلك كنا نلمس فى أجسادهم وفرة التغذية والامتلاء ، ومن السلع المنتشرة هنالك البيض والليمون ، أما غابات النخيل فهى فى كثرة فائقة ، ومنها نستمد البلح الرشـــيدى (الزغلول) ذائع الصيت . ولقد مررنا بتفتيش إدفينا ، وهنا تجلت المجهودات الجبارة التى بذلت فى استثمار تلك الأراضى التى كانت بائرة نزة ، فلقد زودت بالمصارف والمضخات والقنوات ، فأضحت جنة يانعة ، وهى ملك للخاصة ؛ ويا حبذا لو شمل ذلك الاصلاح ما جاورها من متسبات لا يزال أمرها مُغفلاً مهملاً ، وهنالك بعض الشركات الأجنبية تشترى للمساحات الشاسعة وتمهدها بالاصلاح ، فهلا قامت الحكومة بذلك أو ساعدت الأهلين عليه حتى لا تزيد فى ملكية الأجانب وامتيازاتهم فى بلادنا ؟ دخلنا رشيد فألفيناها بلداً عتيقاً ، بيوته بالآجر الأحمر الصغير لا يكسوه ملاط ، وهى تقوم على النيل ، ومن أظهر ما يسترعى نظرك مداخن لا حصر لها هى لمضارب الأرز أنشط جهات العمل فى البلدة ، وعلى مسيرة زهاء خمسة كيلو مترات يلتقى النيل بالبحر فى لسان شبيه بذاك الذى فى رأس البر ، ولقد كان ماء هذا الشهر عذباً (أغسطس) بعد أن ظل مالحاً ستة شهور قبل ذلك من طغيان ماء البحر على النهر ، وسيظل الماء عذباً بقيــة العام ؛ ويجاور البلد عدد من الملاحات ، وترى زوارق الصيد يغص بها النهر والبحر ، ومهنة صيد السمك رئيسية هنالك

عدت إلى الاسكندرية ، وقمت صوب الغرب إلى مطروح مسافة تزيد على ٣٠٠ ك م ، ثلاثة أرباعها بسكة الحديد إلى محطة فوكه وبعدها بالسيارات الكبيرة ، وكان قد أنشأ ذاك الخط سمو الخديو السابق رغبة فى تعمير تلك الناحيه التى كان يمتلك جل أراضيها ويحاول اصلاحها ، لكنه اعتزم أن يبيع الخط للطليان ، فسارعت الحكومة بشرائه منه ، ولقد سار القطار الى جانب مستنقعات بحيرة مريوط وصحرائها المالحة طويلا ، ومر بمحطة (اكنجى مريوط) ؛ ولعل أكبر البلاد (الحمام) العاصمة التجارية لتلك الناحية ، أما الأهلون فهم قليلون مشتتون فى خيامهم ، ولهم لهجتهم العربية المحرفة ، وقد كنا نقف على المحطة فلا نرى من المساكن شيئاً سوى أبنية عمال المحطة ، فنتساءل أين البلدة ؟ فيقولون : ليس هناك من بلد ، والأهلون متفرقون فى مساحة شاسعة من الأرض حولها ، ويبدو عليهم العوز والجوع ، وبخاصة فى هذا العام الذى تخلف فيه المطر فأجدبت منابت الشعير ، وكنا نرى مساحات الأراضى التى (عزقها) أصحابها وبذروا فيها الشعير كعادتهم وتركوها حتى ينزل عليها مطر الشتاء فيسقيها ، وعند اقتراب نضجها يعودون من جولاتهم الطويلة — التى قد تصل بهم الى داخل مديرية البحيرة — ويحصدونها

وبعد مسير ثمانى ساعات ونصف من الاسكندرية أشرفنا على مرسى مطروح فى خليج هلالى ، تقوم المبانى على جوانبه فى شوارع متعامدة أبعادها تكاد تكون متساوية وهندستها موحدة بسيطة ، جلها شبه مربعات من طابق واحد يكسوه الطلاء الأبيض ، وقل أن تجد بناء يشــذ فى علوه أو لونه وهندسته ، والشوارع هناك فسيحة ، ويبدو عليها المظهر الصحراوى فى ندرة النبت ، وان حاولت المحافظة استنبات بعض الأشجار القليلة على جوانب الطرق ؛ وهناك بيت المحافظ الانجليزى — ومطروح تعتبر عاصمة محافظة الحدود الغربية —

يشرف على البحر ، ويليه بيت وكيل المحافظ وسائر الموظفين . ومما يذكر للادارة هناك بالفخر ، عنايتها بالنظافة التامة ، ورعاية صحة الأهلين والرقابة الخلقية عليهم ؛ ولقد أعدت للموظفين نادياً صغيراً جميلاً على البحر زود بصنوف الحلوى والمرطبات وأدوات اللعب البريء وبجهاز للراديو يسرى عنهم فى معيشتهم المنعزلة الموحشة ؛ وتضاء الشوارع بالمصابيح الكبيرة التى تقلل من وحشة سكون الليل الرهيب هنالك . وخير ما يتجلى منظر البلدة فى كامل روائه من الاستراحة الحكومية التى أقيمت على النجاد التى أدت بسيارتنا إلى شاطئ خليج مطروح ؛ وفى ناحية نائية من غرب مطروح مسجد أنيق (لسيدى العوام) بطل المنطقة وقد بناه الخديو السابق كما بنى كثيراً من المساجد فى بلدان خط مريوط ، وكانت تقوم حوله طائفة من مساكن الأعراب فعوضتهم عنها الحكومة وأزالتها وأقامت مصيفاً يسمونه الليدو ، فبدأت بنزل فاخر زودته بكافة وسائل الترف والراحة وجعلت أجر المقام به نصف جنيه فى اليوم ، ثم أقامت حوله بيتين صغيرين أنيقين (فلات) لمن يريد الاستئجار . على أن عزلة المكان وبعده وافتقاره إلى وسائل اللهو قد زهد المصيفين فيه ، إذ أنى لم أحص فى الصيف كله أكثر من عشرة أشخاص ، فهو عندى خير مصطاف لطلاب الراحة البريئة والسكون الشامل وهؤلاء قليلون ؛ ويخيل إلى أن تقدير الحكومة الصدقية كان خاطئاً إذ كلفته نيفاً وعشرين ألف جنيه لن يسد للدولة منها شيئاً . ولقد قال لى بعض الناس من سكان البلد إنها فكرة انجليزية قصد بها أن يقيم على حساب الدولة مستراحاً للمارة من السادة الانجليز فى روحاتهم وغدواتهم على الحدود الغربية

وأهل البلد من الأعراب يسيرون فى ثيابهم الفضفاضة ، وسادتهم يطوقون كواهلهم بأحزمة بيضاء ثقيلة ، ونساؤهم يسرن سافرات فى ثياب حمراء فضفاضة أكمامها هائلة هادلة وهن على جانب كبير من السذاجة . تجلس فى المقهى فترى الواحد منهم يدخل ويقف حولك يحدق فيك ويزوغ ببصره ثم يتسكع حولك ولا يكاد ينصرف حتى ترى غيره ، وأطفالهم عراة جياع حالتهم تستدر العطف وتستنزل الرحمات ويكثر بينهم الزنوج السود وهم من عبيد السنوسية جاءوا بهم معهم بعد أن حرروهم لما أن طاردهم الطليان وأجلوهم عن ديارهم . ولأبناء السنوسى هناك مقام كبير بين الناس يكاد يبلغ حد التقديس . حدث مرة أن رأيت بيتاً فاخراً طلى باللون الأزرق على خلاف سائر بيوت البلدة فسألت أحد المارة بيت من هذا ؟ فأجاب : بيت الأسياد . قلت : ومن الأسياد ؟ فثار الرجل وصاح فى نغمة الغاضب المستنكر : الأسياد ! الأسياد ! كيف لا تعرفهم هم آل السنوسى ! ولهؤلاء جل أملاك المنطقة وأبنيتها . وإلى الجنوب الغربى من البلدة أقيم المطار فى متسع هائل واستعداد كبير لاستقبال الطائرات المختلفة ، وقد نزلت به أمامى طائرتان إحداها للشركة الهولندية التى تقوم من هولندة وبتافيا ، وهى طائرة كبيرة من الألنيوم بها ١٤ مقعداً للمسافرين . أما الثانية فطليانية بين الأسكندرية وبنى غازى وذاك خط حديث بدأ منذ أسبوعين فقط وطائرته صغيرة

وفى مطروح محطة لاسلكية أساس عملها الاتصال بالطائرات خصوصاً الهولندية . أقمت فى مطروح زهاء يومين فى نزل أغريقى ، واليونانيون هناك نشيطون فى التجارة ويبدهم غالب سيارات النقل وحوانيت البدالة والفنادق ؛ وسيارات النقل هناك تقوم لثلاث جهات : فوكة وتلك كل يوم ، السلوم ، واحة سيوة مرة أو مرتين فى الأسبوع

الى سيوه :

قمنا مبكرين نستقل سيارات الحدود فأخذنا نسير فى صحراء لانهائية عريت عن النبت حتى الشائك منه وإن كان مظهرها فى الشتاء والربيع أبهى وأجمل إذ يكثر العشب بنواره المختلف الجميل ، ولا يفتأ المسافر يمر بيقاع تنمو بها أعواد الشعير ، والطريق حجرى فى جزئه الأول ، مترب فى الأخير ، ويمر بمجموعة من آبار أذكر من بينها : حجفة جلاز عند الكيلو ٧٢ من مطروح — حجفة أى بئر بلغتهم — وحجفة البويب عند الكيلو ١٢٤ على مقربة من الاستراحة التى أقيمت لجلالة الملك يوم أن زار تلك الناحية سنة ١٩٢٨ ، ولذلك يطلقون على تلك البئر أحياناً (بئر جلالة الملك) لأنه شرب منها ، ثم بئر النصف فى منتصف الطريق عند الكيلو ١٥٠ ، والمسافة كلها ٣٠٠ كيلومتر ، وغالب تلك الآبار رومانية الأصل كانوا يحفرونها تجاويف فى الصخر تبطن بالأسمنت أو الآجر ، وتمد بفتحات ضيقة يؤدى اليها ماء المطر

عند سقوطه ليتراكم فيها ، وعلى الفتحة الرئيسية باب وحارس يكلف بحفظها من الأوساخ ومن إسراف الناس فى مائها ، وأنت ترى طائفة كبيرة من السائمة وبخاصة الأبل تحوم حول تلك العيون وتتسكع فى مرعاها عساها تشفى بعض ظمئها من الماء كلما مر بالبئر عابر ، وقد كان يبدو على بعض الأبل عند بئر جلاز ظمأ شديد ، ولم يرغب الحارس فى سقيها ، ولما سألناه عن السبب قال : لكيلا تنتجع تلك الناحية وتعتادها كثيراً فتضايقه ، على أنا أجبرناه أن يسقيها هذه المرة إكراماً لنا ورأفة بها

لبثنا نسير فى ذاك الطريق الوعر ثمانى ساعات ونصف الساعة — والسيارات الأخرى الكبيرة تقطعه فى يوم كامل — وقبل دخولنا الواحة أخذنا فى الهبوط تدريجاً ، وظهرت مخاريط متناثرة من الربى ، تمتد إلى الآفاق فى منظر رائع جميل ، ثم بدت الخضرة الشاحبة على بعد أمامنا ، وذاك أول قبس من سيوه التى تنخفض عن سطح البحر بنحو ٢٥ مترا ، ثم أخذت تفاصيل المنظر تبدو فى شبه غابات من النخيل مغلقة متباعد بعضها عن بعض ؛ بينها ربى أقيمت عليها المبانى بعضها للحكومة والبعض للأهلين

سوق سيوه يقام من أعراش على عمد من طين
ومن ورائه المساكن وكأنها الأحجار

وقفنا بباب مركز البوليس ، ولقينا حضرة المأمور أحسن لقاء ، وقدم لنا الاستراحة لنأوى اليها ، وأظهر استعداده الجميل لمساعدتنا فى جولتنا العلمية القصيرة هناك ، وكان قد أوصاه بنا خيراً سعادة وكيل المحافظ وبعض اخواننا من مطروح . دخلنا دار الاستراحة وقد أقيمت فوق ربوة شاهقة تشرف على الواحة وقد زودت بالشرفات تغطيها شبابيك من السلك لمنع البعوض ، وقد كانت الواحة مهددة بالملاريا منذ زمان بعيد ولا يزال لها بقية إلى اليوم — ولن أنسى جلستى فى إحدى تلك الشرفات ومشهد الواحة من دونى ساحر وامتداد الصحراء رهيب ، وقد عنى بتلك الاستراحة عناية خاصة ، لأن جلالة الملك قد نزل بها فى زيارته ، وبها دورة للمياه فاخرة ، وفى أسفلها بعض المغارات التى كان يتعبد فيها الشيخ السنوسى الكبير فى زياراته لتلك الواحة قديماً ، وبعد أن طارده الطليان اليها . نزلت أجوب بعض أطراف البلدة فاذا بغالب بيوتها على الربى تقام من الطين المصفر الذى يحكى الطفل ، وترى البيوت وكأنها الأحجار أو المغاثر بعضها ركب فوق بعض ، وتشبه مجموعة من حصون قديمة ، وليس لها من النوافذ سوى كوى صغيرة لا تكاد تسمح لضوء الشمس أن يتخللها ، ولهم العذر فى ذلك ، لأن لفح الصيف قاتل وبخاصة فى ابريل ومايو ، وقر الشتاء زمهرير ، وشهور أغسطس وسبتمبر خير مواسم السنة جواً هنالك . ومن أظهر ما يسترعى نظرك وسط تلك الأبنية برج مربع يدق كلما علا ويشبه المدخنة وهو مئذنة لمسجد من مساجدهم القديمة ؛ أما سوق البلدة ومتاجرها فأقيمت فى متسعات أسفل تلك الربى وزودت بظلل من الطين وجريد النخيل ، ومداخل شوارعها ضيقة مسقفة ، لا تشعر بأنها طرق يباح المرور فيها

(يتبع) محمد ثابت

البريد الأدبي

ذكرى الموسيقى سان سيان

احتفلت الدوائر الفنية الفرنسية فى أوائل أكتوبر الحالى بالذكرى المئوية لمولد الموسيقى الشهير شارل كامى سان سيان. ويشغل سان سيان فى عالم الموسيقى مركزا فريدا، فهو حلقة اتصال بين الشرق والغرب يندر وجودها، وله بالأخص صلة بمصر لا يزال يذكرها من تمتع بسماع عزفه فى هذه البلاد قبل الحرب الكبرى. وقد ولد هذا الموسيقى الشهير فى أكتوبر سنة ١٨٣٥ بباريس ودرس الموسيقى منذ حداثته، ودرس عزف الأرغن على العازف الشهير بنوا، ودرس التأليف الموسيقى على هاليفى فى معهد باريس، وتخصص فى الموسيقى الكنسية. وفى سنة ١٨٥٨ عين عازفاً لكنيسة المادلين، ولم يمض قليل حتى طار صيته كعازف ومؤلف موسيقى، وفى سنة ١٨٦٧ نشر مقطوعته الشهيرة «أعراس روميتيه» فلقيت نجاحاً عظيما، وأتبعها بنشر سلسلة أخرى من المقطوعات القوية الشائقة وأخصها مقطوعة عنوانها «شمشون ودليله» التى عزفت لأول مرة فى فيمار بألمانيا وأكدت صيته وعبقريته كمؤلف لمقطوعات الأوبرا، ومن مقطوعاته الأخرى: «الرقصة المروعة»، «شباب هرقل»، «هنرى الثامن»، «اسكانيو»، «البرابرة»، «هيلين» وغيرها

وقد ساح سان سيان كثيراً فى بلاد الشرق، فزار الجزائر ومصر، وتأثر بمحيطها ومثلها الشرقية. وله مقطوعات شهيرة يلذ سماعها للشرق بنوع خاص، ففيها يتجلى سحر السماء الصافية، وروعة الصحراء، وجمال الليالى الشرقية

ومما يرويه المستر أدوين إيفانس الناقد الموسيقى الشهير، أنه كان يمر ذات مساء بالاسكندرية فى طريق الرمل، إذ سمع عزفاً بديعاً على «العزف» (البيانو)، فسمره السحر فى مكانه، وسرعان ما علم أن هذا العازف إنما هو سان سيان، وأنه يقضى بمصر أياماً فى خفية وتنكر

وذاع صيت سان سيان فى جميع أوربا، ولا سيما فرنسا وانكلترا والنمسا وألمانيا. وعاش زهاء خمسة وثمانين عاماً. وتوفى بالجزائر فى ديسمبر سنة ١٩٢١

مباحث عن أصل الترك

انشأت حكومة الجمهورية التركية فى استنبول متحفاً لعلم الأجناس البشرية يقصد به بنوع خاص أن يعاون العلماء الباحثين فى أصل الجنس التركى على تحديد خواصه الجنسية وتعيين السلالة الأنسانية التى ينتمى اليها. ولكى يتمكن العلماء من إجراء المباحث العلمية اللازمة أصدرت الحكومة لائحة تبيح فتح قبور العظماء الترك وفحص جماجمهم وإيداعها بالمتحف المذكور عند الحاجة

وقد نفذت هذه اللائحة بالفعل وفتح قبر سنان باشا أعظم مهندسي الترك؛ وقد عاش فى القرن الخامس عشر وانشأ أكثر من مائتى مسجد وقصر ومكتبة كلها من الأبنية الأثرية الشهيرة؛ وفحصت جمجمة المهندس الشهير لجنة من العلماء. وسيجرى أيضاً فحص عدد من جماجم العظماء الترك الآخرين من رجال الحرب والسياسة والتفكير. وتشجع الحكومة هذه المباحث وتعضدها؛ وهى تجرى باشراف عالمين أجنبيين كبيرين احدهما الأستاذ موشيه الاخصائى فى علم الأجناس البشرية

والمعروف أنه يصعب جدا أن تحدد خواص الجنس التركى أو خواص العنصر السائد فيه لأن الترك ليسوا إلا شعبة من جنس أسيوى كبير هو الجنس المغولى على الأرجح؛ وهو جنس متشعب الفصائل، هذا إلى أن الشعب التركى امتزجت به خلال العصور أجناس كثيرة أخرى دخلت الاسلام واعتنقت الحضارة التركية؛ ثم إن الترك درجوا خلال العصور على التسرى، وكان الكبراء منهم يحوزون فى «حريمهم» نساء من مختلف الجنسيات، فمن الصعب بل ربما كان من المستحيل أن يستطيع الترك المعاصرون إرجاع أصلهم إلى جنس بذاته

خطر على المؤلفين

هل يقرأ الناس اليوم أكثر مما كانوا يقرأون؟ وهل يربح المؤلفون أكثر مما كانوا يربحون؟ دلت الاحصاءات في انكلترا وفي أمريكا على أن قراء الكتب الانكليزية قد زادوا في سنة ١٩٣٤ عنهم في سنة ١٩٣٣ بمعدل نحو عشرة في المائة، وكان المفروض أن ذلك يعني أن المؤلف قد زاد ربحه، ولكن الواقع أن أخبار المؤلفين لا تسر، والأدلة متوفرة على أنهم يسيرون من سيء إلى أسوأ، وقد دل البحث على أن أشد العوامل وطأة على المؤلفين هو نظام المكاتب الدورية المأجورة؛ ويوجد من هذه المكاتب في أمريكا نحو خمسين ألف مكتبة، وهي تنتشر الآن في انكلترا بسرعة مدهشة، ونظام هذه المكاتب في غاية السهولة فهي لا تطلب ضماناً عما تعيره من الكتب، ولا تتقاضى من القارئ إلا أجراً زهيداً قد لا يتجاوز بضعة ملاليم عن الكتاب الواحد، على أنها مع ذلك تجني أرباحاً طائلة، وبهذه الوسيلة يقرأ الكتاب الواحد مئات وربما آلاف من الناس، ولا يصل المؤلف منهم شيء، وقد وصفت هذه المكاتب السيارة بأنها «الوباء الأسود» بالنسبة للمؤلفين؛ فاذا لم يوضع نظام آخر لهذه المكاتب يكفل للمؤلفين نوعاً من المشاركة في الربح، فانها تنتهي بتثبيط همم المؤلفين، ويحجم المؤلفون بذلك عن التأليف، وعندئذ يكون المشتغلون بهذا النظام قد قتلوا الدجاجة ذات البيضة الذهبية، وما يقال عن انكلترا وأمريكا يمكن أن يقال عن مصر التي أصبحت فيها عارية الكتب والمجلات والصحف رذيلة ذائعة

معرض للأناجيل

مضت أربعمائة عام كاملة على طبع أول انجيل باللغة الانكليزية. وقد احتفل بهذه الذكرى أخيراً في انكلترا؛ وأقامت مكتبة ريناندز الشهيرة في منشستر معرضاً للأناجيل القديمة. والأنجيل الذي يحتفل بذكراه هو الانجيل الذي ترجمه «كفرديل»؛ وقد عرضت إلى جانبه أناجيل عديدة بمختلف اللغات تمثل تطور الأنجيل منذ نشأة النصرانية حتى القرن الأخير. والمعروف أن أول إنجيل طبع هو إنجيل جوتنبرج الذي طبع في سنة ١٤٥٦، وتوجد منه الآن في العالم كله أربعون نسخة فقط. وبين هذا الانجيل، وإنجيل «كفرديل» ثمانون سنة؛ وقد ظهرت تراجم عديدة أخرى للأنجيل منذ العصور الوسطى منها تراجم إلى العبرية واليونانية والألمانية والفرنسية؛ وظهرت بالانكليزية تراجم لأجزاء من الأنجيل في وقت مبكر جداً؛ من ذلك ترجمة كادمون في القرن السابع، وترجمة الراهب بيد في القرن الثامن، ثم ترجمة الفريد الأكبر. وقد عرضت هذه الأناجيل كلها في صعيد واحد. وعرض معها إنجيل مخطوط كان ملكاً للملكة اليصابات

آثار الفيكنج

كشفت المباحث الأثرية في السويد عن أشياء مدهشة تدل على بعد المدى الذي انتهى اليه «الفيكنج» في تجوالهم في طلب السلب والغنيمة، في القرنين الثامن والتاسع من الميلاد، ومن ذلك ما وجد في جهات متعددة في أنحاء السويد وحفظ في متاحفها، وهو عبارة عن طائفة كبيرة من الآثار واللقط الشرقية، وبالأخص النقد الشرقي القديم، فقد وجد منه زهاء عشرين ألف قطعة، وجد معظمها في جزيرة جوتلاند، وتدل بعض الأحجار المنقوشة على أن بعض زعماء الفيكنج سافروا حتى ضفاف بحر الخزر (بحر قزوين)، وتوغلوا هنالك في تلك القفار النائية؛ وفي متحف البندقية أسد من المرمر عليه نقوش «فيكية» محى بعضها؛ وكان هذا الأسد من غنائم الحرب التي حصلتها البندقية من اليونان في القرن السابع عشر

كيف يشجعون الأدب

قرأنا في أنباء أمريكا الأخيرة أن الرئيس روزفلت أقر مشروعاً أدبياً ضخماً يعد الأول من نوعه، وخلاصته أن الحكومة الأمريكية قد اعتمدت نحو سبعة وعشرين مليون ريال (خمسة ملايين جنيه ونصف) لتغذية الحركة الأدبية والفنية في أمريكا، وأن هذا المشروع الذي يبدأ في تنفيذه من سبتمبر الماضي سيؤدي إلى إيجاد أعمال لخمسين ألفاً من الكتاب والموسيقيين والفنانين لمدة ستة شهور

وهذا المشروع بلا ريب من مفاخر الرئيس روزفلت وسياسته، وإذا كان ثمة بلد نرجو أن يحدث فيها مثل هذا المشروع صداه وأثره، فهي مصر التي ما زالت تتجاهل الحركة الأدبية والفنية، وما زالت تتركها لمصيرها وبؤسها. ولقد عنيت الحكومة أخيراً بمسألة التمثيل، ورصدت لتشجيعه وانهاضه

زهاء ثلاثين ألفاً ، هذا عدا عشرة آلاف أخرى تفرق كل عام على الفرق الأجنبية . وإذا كنا نحمد لوزارة المعارف عنايتها بالتمثيل وهو من عناصر الفن وأركانه ، فاننا لا نستطيع أن نسيغ موقفها إزاء الحركة الأدبية وإزاء المشتغلين بالأدب والكتابة ، فلم نسمع إلى اليوم أن وزارة المعارف قد فكرت فى عهد من العهود أن ترصد أى اعتماد لتشجيع الحركة الأدبية ، ولم نسمع أنها رصدت يوماً أى مبلغ لمكافأة الكتاب البرزين أو مؤلفى الكتب الممتازة ، ومنذ أعوام ترصد وزارة المعارف اعتمادات مختلفة لاعانة الممثلين والممثلات ، ولكنها لم تفكر يوما فى أن ترصد مبلغاً لاعانة الكتاب والمؤلفين ، ولسنا نجد مبرراً لمثل هذا الاغفال المؤلم من وزارة المعارف ، فهل لنا أن نؤمل أنها فى عهدها الجديد ، تعنى بهذه المسألة ؟ وهل لنا أن نؤمل أنها كما ذكرت التمثيل والممثلين تذكر الأدب والكتاب ، فتعمل لهؤلاء شيئاً مما تريد أن تعمله لأولئك ؟

آخر كتاب للكولونيل لورنس

من أنباء نيويورك أن شركة للنشر قد أعلنت أنها ستخرج فى الخريف القادم عشر نسخ فقط من آخر كتاب وضعه الكولونيل لورنس بطل الثورة العربية الشهير ، وعنوانه المضرب The Mint . وستطبع هذه النسخ العشر على ورق من الحرير الفاخر وتعرض النسخة الواحدة للبيع بمبلغ خمسمائة ألف دولار (مائة ألف جنيه !) والقول أن بيع الكتاب بهذا الثمن الخرافى يقصد به حماية حق طبعه وعدم إذاعته . ومما يذكر بهذه المناسبة أنه لما طبع كتاب لورنس الشهير « سبعة أعمدة من الحكمة » فى أمريكا عرضت النسخة للبيع بمبلغ أربعة آلاف جنيه وبيعت كلها وكان المطبوع منه ١٢٠ نسخة فقط

كتاب جديد لدانونزيو

صدر أخيراً كتاب جديد لجبرائيلى دانونزيو شاعر ايطاليا الأكبر بعد صمت طال أمده . وعنوان كتاب الشاعر الجديد طريف مدهش ، فقد سماه « مائة ومائة ومائة ومائة صفحة من الكتاب السرى لجبرائيلى دانونزيو الذى يود الموت» والكتاب مدهش رائع حقاً ؛ فهو يحتوى على طائفة كبيرة من ذكريات دانونزيو ومخاطراته وتجاربه الشخصية وملاحظاته من كل ضرب ، وهو يفيض بالصور البديعة والآراء الغريبة ، والتخيلات المدهشة والاضطرام المتقد فى سبيل المجد والشهرة . وينقسم الكتاب إلى قسمين ، قسم يحتوى على قصص الشباب وأحلامه الوحشية ، وقسم عنوانه « الكتاب السرى » ، وفيه يتحدث دانونزيو عن الدور الذى قام به فى الحرب الكبرى ، ومخاطراته وأحلامه وأعماله العبقرية التى جعلت من الشاعر جندياً شهيراً ، وجعلت منه بطلا قومياً لايطاليا

من ضحايا النازى

يعيش فى المنفى رهط كبير من أكابر الكتاب الألمانيين (غير اليهود) وذلك لأنهم من خصوم هتلر وسياسته ؛ ويعانى الكثير منهم شظف العيش وآلام المنفى لأنهم حرموا من أموالهم وأملاكهم التى صادرتها الحكومة الألمانية . وقد توفى أخيراً فى باريس أحد هؤلاء الكتاب ، وهو الدكتور هلمان فون جيرلاخ

وكان فون جيرلاخ قبل قيام الحكم الهتلرى من أقطاب الصحافة الألمانية ، يحرر « جريدة برلين الأسبوعية » B. Z. Am Montag وقد اشتغل فون جيرلاخ بالسياسة منذ بعيد وتقلد النيابة فى الريخستاج مراراً عن سيليزيا العليا موطنه . ولكنه كان ديموقراطى النزعة يدعو إلى السلام والتفاهم مع فرنسا ، وهو الذى أسس شعبة حقوق الانسان الألمانية ، ولما قام الحكم الهتلرى فى ألمانيا ، فر من ألمانيا إلى باريس ، فنزعت الحكومة أملاكه وأمواله ، وجعل فون جيرلاخ جهوده لمقاومة الحكومة النازية ومبادئها حتى توفى فى نحو الخامسة والستين من عمره

منازل الفضل

كان الأستاذ الجليل محمد محمود جلال قد أخذ يكتب تحت هذا العنوان عن الدور القديمة التى كان لها أثر ظاهر فى تاريخ مصر الحديثة ، فنشر فى العدد الثامن والثمانين من (الرسالة) مقالاً نفيساً عن (قصر الوالدة) ، ثم شغلته شواغل الحياة عن موضوعه . وقد جاءنا اليوم كتابان أحدهما من الأديب (على فهمى) بالمنصورة ، والآخر من (فؤاد شاكر) بالقاهرة ، يستنجزان الأستاذ وعده بالمضى فى هذا الموضوع الطريف الذى يجمع بين الفائدة والعظة واللذة ، والأستاذ لا شك فاعل



١ — وحى العصر — تأليف الأستاذ ابراهيم المصرى

٢ — قصص الحياة — تأليف السيدة نور الهدى الحكيم

للأستاذ محمود الخفيف

ترى فى هذين الكتابين مثلين من ألوان الأدب المصرى فى مصر . أما أولهما فمجموعة مقالات تتخللها عدة أقاصيص مترجمة ، قسمه المؤلف خمسة أقسام : دراسات أدبية ، واجتماعيات وصرخات ، ووجوه وأرواح ، وقصص . ولذلك كان الكتاب فى بنائه وفى موضوعه لا يخرج كثيراً عن ذلك النوع من الأدب المعروف « بأدب المقالة » ، فلقد جمع المؤلف شتيت ما كتب فى مناسبات مختلفة وأطلق عليه اسم وحى العصر ، وإن كان هذا الاسم يوحى اليك فكرة متصلة أو دراسة مفصلة للعصر الذى يعيش فيه

تطالع الفصل الأول « وحى البيئة والعصر فى الأدب الحديث » فترى الكاتب يقرر أن الأدب الحى الجدير بالبقاء هو ما جمع بين تأثير البيئة وإيحاء العصر ، وتراه من أجل ذلك يعيب على أدبنا المصرى خلوه من هذه الصفة ، بينما هو يتمدح الأدب الأوربى ويعجب به ، وهو إذ يورد لك الأمثلة فى أدبنا ينسى أن ما يشكو منه إنما هو وليد البيئة ، كما جاء فى كلامه عن طريقتنا فى الحب والشعر مثلا ! والغريب أنه يشير إلى العلة ، وهى بعد المرأة عن الرجال ! أوليس تأثير البيئة الذى يدعو اليه واضحاً فى هذا ؟ وكيف يتسنى لنا أدب آخر مع ما نحن عليه ؟

وانك لتنتظر أن يدور الكتاب على تلك القاعدة التى يدعو اليها ، فاذا بك لا تكاد تحس أثراً لبيئتنا إلا فى تلك القطعة الجميلة القوية وهى « للمرأة المصرية قبل الكفاح الوطنى وبعده » وماعدا هذه فالصبغة كلها غربية ، أوربية وأمريكية ، فى مقالة « الصدق فى الأدب والحياة » تجده لا يقصر عن اتهام أدبنا فيرمينا بأننا نؤثر اللذة على الألم فى انتاجنا ضعفاً منا وجبناً ، ثم هو يعيب علينا كثرة الخيال وضعف قوى العقل ، يعيب ذلك علينا فى الشعر والقصة ، وهو لا يجهل أن الشعر فى العالم قديمه وحديثه شرقيه وغربيه وليد الخيال ، وأن القصة تفقد أهم عناصرها إذا غلب فيها التحليل والدرس على الخيال الشعرى القوى ، فاذا طلب الصدق فليه أن يطلبه فى الفلسفة ، فان الصدق فى الأدب عدو الخيال ، ومن ثم فهو عدو الشعر والقصة . على أن الكاتب الفاضل لا يلبث أن ينسى هذه القاعدة أيضاً ، فيرى أن الأدباء البرجوازيين يتعامون عن بيئتهم ، ويزيفون عنها ، ويبتعدون بذلك عن الصدق ، وهو مع ذلك يرى فى أدبهم قوة تنجيه من اللوم ، ثم تراه حين يتحدث عن « الشعر فى هذا العصر ونهضته فى فرنسا » يدعو مع الداعين من أبناء الغرب إلى السمو الروحانى والخيال الجامح الملئ بالرؤى والأحلام ، تراه يدعو إلى « ذلك الشعر الذى يغلب فيه الخيال على العقل ، والذى ينطلق كوهج الموسيقى ، ويتصاعد إلى السماء كالصلاة ، ويقصد به الشاعر التغنى بالحياة وتمجيد ظواهرها واستبطان هذه الظواهر بواسطة الأشراق الروحى والاتصال من خلالها بالقوة العلوية الخالقة التى أبدعتها » فأين هذا من أنكاره الخيال فى الأدب وخصوصاً فى أدبنا ؟ ! ولعل هذا التناقض نتيجة انعدام الوحدة فى الكتاب كما سبق أن ذكرت

أما باقى موضوعات الكتاب فهى كما أسلفت غربية الروح والعاطفة ، فأنت تقرأ الأدب الأمريكى الحديث وترجمة خمسة من أعلامه ، وتقرأ أدب السرعة ومظهره فى أوروبا ، كل ذلك دون أن تظفر باشارة إلى شاعر من شعرائنا أو كاتب من كتابنا ؛ وفى قسم التراجم من هذا الكتاب لن تجد سوى أعلام الغربيين كأميل زولا ، وبول بورجيه ، ورومان رولان ،

وهنري دي منترلان ، وغيرهم ؛ وفضلاً عن ذلك فلن تحس بشخصية المترجم في تلك التراجم ، وهي على دقتها واستيفائها لا تخرج في جملتها عما نطالعه في المجلات من لمحات بسيطة في سير هؤلاء الرجال حتى لقد أحسست أن ثقافة المجلات مسيطرة سيطرة قوية على الأديب المؤلف في هذا الباب

حتى الأقاصيص تجدها معربة تشرح بيئات غير بيئتنا ومجتمعاً غير مجتمعنا ، ومُثلاً غير مثلنا . نعم لا ضير على الأديب أن ينقل الينا ما استحسن من النماذج بين حين وآخر ، ولكن على شرط أن يشعرنا بألحاننا ويرينا من ألوان ثقافتنا وصور حياتنا ما يؤنسنا وسط هذا الضجيج الغربي الذي نخشى أن يعوق تقدمنا ، ويمحو ذاتيتنا ، ويحول بيننا وبين الاصالة والخلق ، ويقطع الصلة بيننا وبين ماضينا الحافل

ولست أشك في أن الأستاذ ابراهيم المصري بذكائه ونشاطه واستمداده قمين أن يجول في أدبنا المصري الناشيء جولات تعود علينا بالخير ، إن هو وجه إليه بعض عنايته

* * *

يأتي بعد ذلك الكتاب الثاني « قصص الحياة في الأسرة والمجتمع » للمربية الفاضلة السيدة نور الهدى الحكيم ، ويقع في نيف وثلثمائة صفحة ، ذكرت مؤلفته أنه مؤسس على نظريات التربية وعلم النفس والاجتماع . ولقد قرأته فألفيته يدور كله حول المرأة وعلاقتها بالرجل ، وهو يضم إلى ما به من أقاصيص بعض نظرات في الحياة « كاستفتاء في حادث خاق » والمجتمع الحديث للأسر المصرية ، وتطور الآراء في تربية المرأة . وهذا الكتاب يتناول المجتمع المصري والبيئة المصرية في الكثير الغالب من موضوعاته ، حتى لتكاد تنعدم فيه الصبغة الغربية ، على الرغم من أن صاحبته عاشت في أوروبا زمناً ، وهي ظاهرة نحمدها لها ؛ فما أحوجنا إلى من يتناول حياتنا بالشرح والتحليل في إخلاص وعطف . ولقد أحسست الاخلاص والتحرق إلى الاصلاح في هذه الأقاصيص الساذجة ، وأعجبتني تلك الروح الطيبة ؛ فالكاتبة لا تشير إلى عيوبنا إشارة المترفع المتكبر الذي يباهي بمدنية غيره ، ولن يهمه سوى إظهار نقائصنا وعرضها في شكل فضائح كما يفعل بعض شبابنا ، بل تراها تعرض لها في رفق وهوادة ، ولن تقتصر على الموقف السلبي منها ، وإنما تذكر أوجه العلاج وتشرحها جهد طاقتها ، وهي كما أذكر طريقة حميدة وروح محمودة . هذا إلى أن الكاتبة الفاضلة قد وفقت إلى أسلوب بسيط مقبول ، تراه وإن لم يرضك كثيراً من ناحية البلاغة ، لن يثقل عليك ولن تمله

غير أني أرى بناء القصة عندها ضعيفاً ، ولعلها لا تسير فيها على قاعدة ولا تنتهج طريقة ، وإنما يختلج الرأي في رأسها فتلبسه ثوب القصة في أي وضع ، جاعلة نصب عينيها إبراز الفكرة وتوضيحها بطريقة سهلة غير طريقة الدفاع والمناقشة . ولعلها لم تفكر قط في بناء تلك الأقاصيص ؛ والحقيقة أنها أقرب إلى « الحكايات » التي تدور بين جليسين منها إلى القصة في وضعها الفني ، فأنت إذا طلبت الاستمتاع الفني عند قراءة هاتيك الأقاصيص لن تظفر به في معظمها ، أما إذا طلبت الرأي والعاطفة فهي متوفرة لديك

هذا إلى أن الكاتبة النابهة ، أقوى شخصية وأشد تأثيراً وأسمى بياناً في المقالة عنها في القصة ، فلقد أعجبت حقاً بمقالها « تطور الآراء في تعليم المرأة وتربيتها » وتلوته مرتين مستمتعاً بما جاء فيه من آراء صائبة ، وما تجلى في ثناياه من روح متوثبة

وإني إذ أقدم هذا الكتاب إلى فتياتنا وفتياننا ، أتقدم بالثناء للمربية الفاضلة على ما بذلت من جهد وما توخت من خير

الخفيف